حياة مؤجلة

حياة مؤجلة
رواية
نهال خالد
الطبعة الأولي .. ديسمبر ٢٠١٤

دار الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الاشراف - مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة
المدير العام : د.اسلام فتحي
موبايل : ٠١١٤١٨٢٤٥٦٢
dar_elVelm@hotmail.com

تصميم الغلاف : محمد عبد السلام
اخراج داخلي : الحلم للدعاية والاعلان

رقم الإيداع : ٢٠١٤/٢٦٣٨٤
ISBN : ٩٧٨-٩٧٧-٦٤١٢-٩٤-١

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

حياة مؤجلة

رواية

نهال خالد

خيم على الحجرة الصمت والهدوء رغم ما امتلأت به من أجهزة وشاشات تنقل أحداث متفرقة .
مستوى الصوت كان في أدناه ..لكن إذا وجهت نظرك لأي منها يمكنك أن تتخيل حجم صخب الآلام التي يشعر بها من احتوتهم عدسة المصور .
يمكنك أن ترى تلك السيدة وهى تصرخ وهذا الشاب وهو يجرى مندفعا في محاولة لإنقاذ فتاة تتعرض للإهانة الجسدية
هناك أطفالا لا تتجاوز أعمارهم العشر سنوات يمرحون وسط كل هذا وكأن ذلك مقطع حزين لمطربي الأوبرا الايطالية القديمة التي دائما ما ترى فيها عنصرا أو اثنين منعزلين عما يدور حولهما.. مهما بدا مثيرا للمشاعر ، غالبا ما يكونوا منفصلين عن عالمنا ولا يأبهون بما يجرى على أرضه .. وكأنهم يؤجلون اعترافهم به حتى حين فقط يجعلونه كخلفية فنية بديعة ويعتبرونها بيئة مثالية لإطلاق العنان لتذوق تلك القطعة وفقا لطريقتهم ..
هذا ما يجعل الحياة ملحمة متناقضة مثيرة للبكاء كما هي مثيرة

للضحك أليس كذلك ؟
في أحلك الظروف قد تجد ما يدفعك للتشبث والمثابرة وفى أكثرها رخاء وسعادة ربما لا تجد سوى من يدفع بك إلى سابع أرض وهذا ما يجعل الحياة هينة أيضا ويمكن إحتمالها
لا تترك لك الفرصة للتوحد مع وجه واحد منها .. دائما ما تفتح ثقوبا لتمرير أوجه أخرى حتى تكتمل تجربتك بها .. ولتعلم أنه لا دائما لك بها شيء..سواء كان نعمة أو إبتلاء .
المثير للدهشة هنا وما يجعلها غير متأكدة من تلك الحقائق رغم منطقيتها هو ما تراه أمامها على تلك الشاشات في هذه اللحظات
لما لا تنقل إليها سوى الوجه القبيح فقط من الحياة ؟!
لماذا يبدو الوجه الجميل حلما بعيدا مستحيلا ؟!
كحلم شيخ بالعودة إلى شبابه يوما أو حلم طفل بان يلحق تلك الطائرة التي تحلق في سماء ليلة صيفية وعندما يفشل يعاود اللهو مع أصدقائه ممنيا نفسه بأنه سيفعلها في المرة القادمة
لماذا تبدو هذه البلد وكأن ما من بشرى قادر على إنقاذها ؟!
وكأنها ارتكبت إثما عظيما لن تنفع محاولات الآدميين ها هنا بالتوبة عنه حتى وان تحولت أرواحهم الطاهرة إلى قرابين في سبيل أن تنقشع عنها تلك اللعنة .
كل تلك المشاهد التي تراها يوميا تجعلها تؤمن أن لا أحد سيشهد النعيم الذي يمنى نفسه به أو حتى أولاده وأحفاده من بعده نحن

فقط ندفع الثمن لشيء لن نحصل عليه .
لم يعد هاما طرح تلك الأسئلة عن السبب أو النتيجة.. فكل شيء فقد قيمته مهما علا شأنه .. حتى الكلام المنطق أصبح نوعا من الابتذال وسط هذه الأحداث المشينة .. فالمجتمع أصابته حمى الهمجية والرغبة في حرق أي محاولة لتدارك الأمور كنتيجة لانتهاك الكرامة وغياب الرجل الرشيد ..قد يكون هذا الرجل الرشيد هو حاكما أو نظام دولة أو أدوات قادرة على ضبط هذا الإيقاع المنفلت كل مفهوم أو مبدأ تم تفريغه من محتواه وقفز ليتدثر داخل معاني أخرى على النقيض منه ..ولذا غاب عن الأفق أى استبشار بما هو قادم لأنه لن يكون سوى إمتدادا لما نحياه الآن ..
شعرت برجفة وهى تستوعب تلك الحقيقة .. كل تلك المأسى لن تفضي إلى نعيما مقيما على تلك الأرض!
الجميع يتلذذ ويستثمر ما يحدث سواء عن قصد أو عن جهل .
عرضت أحد الشاشات أمامها فجأة مقطع للرسوم المتحركة الموجهة للأطفال وتبعتها شاشة أخرى في عرض أحد الأفلام العربية القديمة لتتغير كل الشاشات تباعا وليضحى الواقع أقل سوداوية .
كان ذلك موعد انتهاء التغطية الإخبارية لأحداث اليوم والعودة مرة أخرى إلى إذاعة وبث باقي برامج ومواد القناة التي تعمل بها كمهندسة صوت ..كانت ناجحة وفقا لكل المعايير ..لكن الأجواء هنا لا تسمح لك ان تستمتع بطعم الأشياء ..

الحزن قابضا على مقادير هذا الوطن ولا يريد أن يفارقه على ما يبدو ..

القدر لا ينوى أن يبطش في القريب العاجل بمن حولوا هذه الحياة في هذا الوطن إلى جحيم .

غصة أصابت العنق وأثرت على مجرى الهواء لديها مما دفعها لمغادرة محرابها بخطوات سريعة .. عندما خرجت عادت الضوضاء المعتادة للمكان.. هواتف ترن بلا انقطاع وضحكات قصيرة تتخللها ويتقاطع معها أزيز خافت لأجهزة الحاسب الآلي التي تتصل بأجهزة الطباعة الفورية .

كل من مرت بهم منهمك في عمله ويتعامل بشكل طبيعي وكان تلك الحالة الحرجة الغارقة فيها البلاد هي ليست سوى مادة غنية لملأ فترات البث لمدى زمني أطول.. لو أصاب نيزك هذه البلد سوف يكون ذلك غنيمة في عيونهم .

زملائها يجيئون ويذهبون بخطوات سريعة هنا وهناك مما يعبر عن أحداث مشتعلة في الشارع الآن ..

دائما ما يصيبها هذا الجو بالاغتراب وعدم الألفة ..

مجال بأس. مختلف عنهم يحتاج تركيزا وتأملا في ما يرد إليها من مواد إخبارية من كثرة العمل ..أصبحت قادرة على تحليل نبرات الصوت والحكم على المتحدث من خلالها حتى من دون رؤيته .. هذا يكذب ولكنه بارع فيه بسبب احترافه له وبسبب صوته المزعج

مرتفع النبرة، هذا صادق لأنه يتحدث قليلا وثابت النبرات.. أما هذا فيمكنك الغوص والإبحار في صوته وبناء سيناريو فني كامل يصاغ من العوالم الكامنة فيه .

حولها ذلك إلى شخص أكثر حساسية تجاه الأشخاص و جعلها تنفر سريعا ممن يجرح أذنيها بصوته المتلاعب الذي يعكس فسادا في الروح واستهزاء بمن مازالوا يقدسون نقاء النفس كشرط أساسي للإنغماس في علاقة معك .

أوقفها نداء باسمها فالتفتت بسرعة وكانت على بعد خطوات قليلة من مغادرة المبنى بالكامل مما جعلها تتململ للحظات لكن الصوت المليء بـ... لم تستطع تحديد طبيعته أو الحكم عليه من المرة الأولى مثلما اعتادت أو احترفت ..

ربما الأصوات المتداخلة المحيطة بها أعاقت ذلك إلى حد ما ..

وجدت أمامها رجلا في نهاية العقد الرابع من عمره يطالعها بابتسامه تملئك بالارتباك دون سبب بينما استقرت يداه في جيوب بنطاله في ثقة كافية بأن تضيف لديك طنا آخر من الارتباك النقي .

تجمد المشهد للحظات، هي في نهاية المكتب وهو في بدايته بينما الحياة تدب في كل أركانه ما بين هذا وذاك .

وجدته يتقدم نحوها بخطوات بطيئة وابتسامته تخف تدريجيا حتى ارتخت ملامحه وارتسمت عليها الجدية وهو يقول لها (هل يسمح وقتك بمحادثة قصيرة ؟)

أول ما استشعرته هو دهشة من طريقة حديثه إليها والتي يبدو منها انه يعرفها جيدا ويضاف لهذا صوته الذي فاحت منه رائحة النفوذ .

الأكثر من ذلك أنها لم تتمكن من تصنيفه، ملامحه التي تعكس جذورا من الجنوب كانت هادئة خالية من أي تعبيرات تقريبا

اعتادت أن تنجح في تقييم الأشخاص من الطلة الأولى

كانت غالبا النتيجة لا تأتى في صالح الشخص لكنها تأتى لصالح تأكيد صحة نظرتها في الناس

(لقد كنت على وشك المغادرة)

كانت تحاول دفعه للمزيد من التحدث كفرصة ثانية لها للحكم عليه

(اعلم ذلك واعتذر أن جاء عرضي في الوقت غير المناسب، أيمكننا تدبير ميعاد آخر يناسبك ؟)

انهماكها في استطلاع هذا الشخص الغامض الواقف أمامها جعل عقلها يستبعد سؤاله عن اسمه أو منصبه

هناك أشخاصا يكون حضورهم طاغيا يستبيح حواسك ويحتلها دون أدنى مقاومة رغم أن طبيعتك لا تسمح سوى للقليل بالاقتراب

لذا تجد نفسك تنسى تلك القواعد المنطقية المعتادة في التعامل معهم

كانت تريد أن تعلم عنه كل شيء الآن..بدون تأجيلا إلى موعد لاحق

لكنها أرادت بعض الوقت حتى تعيد ترتيب خطوطها الدفاعية المنهارة

(يمكننا التحدث في فترة الاستراحة غدا .. عادة ما تبدأ في الواحدة ظهرا)

(عظيم ، أتمنى إن لا يوجد لديك ما يمنع آن أستضيفك بمكتبي في هذا الوقت) ثم أشار إلى مكتب يحتل احد الأركان البارزة والذي كان يخص مدير المحطة لكنها لمحت أن القطعة الذهبية التي استقرت على بابه الخشبي الأسود قد تم تغييرها ليحتل اسما جديدا بدلا من اسم رئيسهم المعتاد استطاعت التقاط أحرفه الأولى بسرعة

(طارق)

وجدته يلفظ اسمه في اللحظة التي نجحت في قراءته من موقعها

(اسمي طارق المهدي .. الرئيس الجديد للمحطة ، اعتذر عن عدم تقديم نفسي في البداية)

قالها بنبرة اعتذار حقيقية واضحة .. سعدت عندما عادت لديها قدرة فك شفرات الصوت البشرى مرة ثانية

(لا بأس ..)

قالتها بهدوء وهى تحاول التماسك إمام شخصيته الأسرة تلك

(لقد اجتمعت بكل فريق العمل هنا منذ ساعات واخبروني انك من النوع الذي يكره ترك عمله مهما كانت الظروف فآثرت أن

أؤجل لقائنا معا ومع الزملاء الذين تغيبوا اليوم إلى وقت آخر.. يوجد العديد من الأمور التي أريد التواصل معك فيها بشان مجال اختصاصك)

استطاعت الخروج بعدد من الانطباعات من تلك العبارات التي خرجت منه.. هو شخص بسيط صارم يحترم الأخريين لكن مع هذا لازال هناك جزءا خفيا لا تستطع تحديده .. ربما هي حساسية زائدة اكتسبتها بسبب احتراف العديدين إخفاء وجوه أخرى لا تراها العين لكنك تصطدم بها بعد فترة

(أتطلع إلى ذلك .. واهنئك على المنصب الجديد)

طالعها بنظرة خاوية للحظة ثم رسمت ملامحه رتوش الامتنان كبديل لكلمة شكر

وجدت تلك النظرة الخاوية تعاود تدريجيا إلى وجهه فتنحنحت ثم همت بالمغادرة بخطوات سريعة

هل ستتمكن غدا من الجلوس أمام هذا الكيان وإجراء حديث معه مرة أخرى غدا ؟

صفعها هواء باردا منعشا عند عبورها الأخير من مقر المحطة إلى الدنيا الرحبة

قبل إن تقطع الشارع الذي يؤدى إلى منزلها تذكرت ميعادها مع صديقتها التي استقالت منذ سنة من المحطة بسبب حصولها على فرصة اكبر في مكان ذو إمكانات أضخم

ربما كانت هي الأقرب إليها رغم الانفصال المادي في المكان ، كانت الاكثر تفهما لطبيعتها الهادئة ظاهرا والمشتعلة داخلا
كانت الأكثر قدرة على استخراج كل ما غاص في داخلها رغم عجزها هي شخصيا عن ذلك أحيانا
كل هذا كان كفيلا بان يدفعها للعودة وقطع مسافة ليست بالقليلة لتنتظرها في هذا المقهى العتيق الذي كان شاهدا على مشاركة العديد من صدامات الحياة مثلما كان شاهدا على صداقة تتجذر على مدى الأيام
الجزء الخارجي كان للمدخنين كالعادة لكن فتاة واحدة فقط احتلت منضدة جانبية فيه ولم تحمل في يدها سيجارة
وجدتها فرصة للتمتع بهذا الجو الرطب والإمعان فيمن يمرون بالشوارع المحيطة
بمجرد استلقائها على المقعد لمحت تحت أقدام تلك الفتاة عقب سيجارة مازال مشتعلا
لقد تسرعت في الحكم عليها، لقد كانت الفتاة تدخن منذ لحظات

طالعتها بنظرة متفحصة ..كانت واجمة لا يبدو عليها أى ملمح قد يفسر سبب هذا الوجوم أو مداه
كانت لا تحترم المدخنين بشكل عام رغم ما يصبغه البعض عليهم من صفة الجاذبية

هي ترى أنهم اضعف من مقاومة شهوة الاختباء وراء اى شيء حتى وان كان مهلكا للبدن في سبيل مواجهة أمرا مستعصيا عليهم
يجدون في تلك السيجارة درعا حديدا لإخفاء ضعفهم ولإضفاء قوة على السطح قد تجعل المشاكل تندفع هربا عندما يرونه
هي فقط دليل آخر على انك لست بالقوة الكافية
(ألا تملين من كثرة التأمل يا صديقتي العزيزة ؟!!)
أفاقها صوت صديقتها المتقطع بفعل أنفاسها المتلاحقة نتيجة لمجهود زائد
ابتسمت وعانقتها بشدة ثم أفسحت لها المجال لتجلس أمامها وتحجب عنها تلك الفتاة التي انهمكت في مكالمة هاتفية على الأغلب تفرغ فيها ما عجزت تلك السيجارة التي أنهتها منذ قليل عن امتصاصه
(لم أتمكن من الوصول بسيارتي إلى هنا بسبب السيارات المتكدسة على صفى الطريق على مدى ٤ تقاطعات.. قمت بركنها هناك ثم قررت أن استهلك بعض الطاقة في الجري حتى المقهى)
ابتسمت وهى تطالعها بود ثم أطرقت بوجهها إلى الأسفل وهى تقلب محتويات كوب الشاي المثلج الذي ترسب في قاعه بعض قطع الفاكهة الطازجة مما اكسبه مزيجا من النكهة القوية أزالت جزءا لا بأس به من التوتر الذي أصابها منذ لقائها برئيسها الجديد
لمحت صديقتها في عينيها هذا السكون المريب

(حتى وان خلت الشوارع من البشر ستجدها مليئة بالعربات .. البراح هو شيء محرم على هذه المدينة)

قالتها وهى تنتظر أي شيء يؤكد ما توصلت إليه .. هناك شيء ما تعانى منه هذه الفتاة

وجدتها تنظر إليها في صمت ثم تمتد بنظرها بعيدا عن المحيط الذي يتواجدون فيه

(لقد قررت أن اترك العمل بالقناة)

قالتها بهدوء وكأنها تخبرها بشيء عادى كقيأمها بتصفيف شعرها أو ابتياعها حذاء جديدا

أدركت أن القرار لا يجب أن يكون موضع تساؤلها.. هناك شيء آخر كامنا وراء هذا السطح الهادئ

(أأصبحت تخشين المواجهة إلى هذا الحد ؟!)

كان سؤالا استفزازيا أكثر منه استفسار .وهذا ما كانت تريده أن تدفعها إلى البوح عما يعتمل بداخلها

لمحت انقباضا مفاجئا في ملامحها وان ظل صوتها هادئا

(مواجهة من ؟!!)

اخفت بخبث ابتسامة وهى تقول بلهجة عابثة

(من قال أنني أتحدث عن شخص .. أنا الرواية،ل عام عن رغبتك الدائمة في عدم إكمال اى شيء حتى النهاية ..عن تحكم تلك النظرة القاصرة الصبيانية لديك في كل ما تفعلينه.. إلى متى ستظلين عالقة

هكذا بين الطفولة والتمسح الظاهري في النضج ؟)
كانت تعلم أن كلأمها سيخترق بعنف مسامعها ويحدث صدمة لازمة لذلك القلب الأرعن الطائش الذي لم يجد من يهذبه ويعلمه بأسبقية مكانة العقل عليه في أمور العمل على الأقل
(لقد اتخذت القرار بعد فترة طويلة من التفكير، لم اعد احتمل ما أراه كل يوم من مشاهد.. سأبحث عن اى مكان يضمن لي العمل في برامج أو على مضامين لا تشتمل على هذا القدر من الدموية الفاحشة)
كانت الكلمات تخرج منها متلاحقة سريعة وكأنها تريد إن تنفض عنها اى مظاهر للضعف أو عجزها عن بناء حياة مستقرة آمنة لها لم تحاول صديقتها أن تقوم بمزيد من الهجوم ، هذا سيؤدى لتعقيد الموقف
فقط أطبقت فمها بينما سبحت عيناها في عيني تلك الفتاة التي لا تنفك إلا لتجر نفسها إلى الخلف كلما استتب الوضع وأحرزت تقدما مهما
لمحت يديها ترتعش وهى تبعد يهما بعض خصلات شعرها التي غطت وجهها الملائكي بفعل ارتفاع سرعة حركة الهواء من حولهم
لقد أمعنت تلك الفتاة في إغداق كل معاني الحزم والبرود والقوة على ملامحها
لكن في الداخل هناك تلك اليرقة التي ترفض أن تتحول لفراشة لتبهر

الجميع بلين جانبها
ترى أن ذلك اللين لا مجال له.. لا في هذا الزمان ولا بين هؤلاء البشر ولا على هذه الأرض
لكنه رغما عنها تندفع تلك الطبيعة الرقيقة لها لتتحكم في مسار حياتها
ولذا لم تحظى بالمكان المرموق الذي يناسب إمكانياتها ولا العلاقات الاجتماعية التي توفر لها مزيد من الفرص رغم تفوقها العملي ورغم شخصيتها المرحة
لماذا تفعلين هذا بنفسك يا فتاة بينما هناك أخريات مثلك لا يشبعون من الأخذ بلا مبدأ أو قيم أو أخلاق تردعهم ؟!
(وماذا عن لقاء الغد ؟)
نظرت لها في دهشة وقبل أن يخرج منها السؤال المتوقع بادرتها صديقتها قائلة
(لقد اخبرني احد زملائنا في قسم التحرير بشأن هذا المدير الجديد وانه قد أجل الاجتماع بمن لم يحضر اليوم إلى الغد)
أطلقت زفيرا دون أن تجيب
لأنها بالفعل لم يكن لديها إجابة بعد عن هذه السؤال
حتى الآن

تأملت باهتمام عنوان الرواية التي ابتاعتها منذ قليل من تلك المكتبة الجاثمة على نهاية الشارع الذي تقطن فيه

كانت لا تريد أن تواجه الواقع بالواقع..الإبحار في عالم الروايات يعطيك جرعة من الشجاعة والحزم في مواجهة الأزمات ، تشعرك انك قادر على اجتياز اى شخص مهما اشتدت من حوله تلك الهالة التي عادة ما تحد من اندفاع الكلمات حرصا على بروتوكولات تستقر بداخلنا وتحدد طبيعة تفاعلاتنا مع من حولنا

استغرقت وقتا كبيرا حتى قررت إن تلك الرواية وحدها دون غيرها توفر العالم المنشود الملائم لما تمر به والقادر على طمس ملامح شخصيتها الساكنة ورسم ملامح أكثر بروزا وتحديدا هي في اشد احتياج إليها عند إلقائها لذلك القرار على مسامع الجميع

لا يوجد كثير من التفاصيل على غلاف الرواية ، فقط جمل مستقاة من بين صفحاتها تجذبك وتغريك بالمزيد

طالعت عيناها كتب كثيرة اكتست صفحاتها بالمديح والإشادة بأقلام أدباء وكتاب ولا بأس ببعض القانونيين أو العلماء.. هذا اقصر الطرق لجعل العمل الأدبي يسقط من نظرها

تشعر انه محاولة لإلهائك عن مضمون العمل بالأسماء الرنانة والكلمات الذهبية المطعم بها الغلاف فضلا عن التركيز على حجم مبيعات الكتاب حتى الآن أو إحصاءات ضخمة لمجمل مبيعات الكاتب نفسه .. تجد انك قد قاربت على ابتياع رطلا من الزبد

الفاخر بينما تراص على العبوة عبارات الشكر في الحظيرة التي ساعدت الأبقار على إنتاج مثل هذا المستوى من الدهون الوفيرة
لقد طغت لغة الدعاية الفجة على كل شيء حتى تجاه المنتجات التي يجب أن تكون مقنعة لأنها سحرت الألباب من عمق ما ترصده من معاني سواء ارتبطت بالعاطفة أو المنطق
وليس لأنها أثارت غريزة الاستهلاك لديك ليتحول الكتاب إلى منتج مادي وليس خلاصة إبداع بشرى
لمحت من بعيد وهى على وشك الانفصال عن المدينة بشوارعها الناعسة المتخمة بأحلام ستتكسر على أعتاب النهار ، جارتها التي تسكن في الطابق الأول ببنايتها
تلك السيدة تكن لها محبة وإجلال بلا حدود رغم إدراكها أن الناس غالبا ما تكتفي بالاصطدام بطبيعتها الجافة على السطح ويدخرون مجهودهم لشخص آخر أكثر لينا منها
جارة تضع عليك كل هذه الآمال وتتوقع منك أن تصل إلى القمر في خلال عامان على الأكثر تصبح عبئا عليك ، مما جعلها تتفنن في اختلاق الأعذار كل مرة تستفسر فيها عن المدى الذي وصلت إليه حتى الآن في رحلتها الفضائية تلك
وبعد نفاذ الأعذار .. أصبحت تتجنبها قدر الإمكان وأصبح اجتياز الدور الأول من البناية مهمة شاقة تضعها في الحسبان عند بداية ونهاية كل يوم وإذا تصادف وجودها على أعتاب منزلها تتحجج أنها

متأخرة على عملها أو أنها ذاهبة لانجاز أمر هام لا يحتمل استهلاك مزيدا من الوقت في سرد تلك العواطف الهائمة على وجهها و التي لم تجد سوى تلك الفتاة العاثرة الحظ لتلتصق بها كأخر ملاذ امن .
أسرعت من خطواتها وأراحها نوعا أن جارتها كانت مشغولة بالحديث مع إحدى الجارات من المبنى المجاور..هدية من السماء في نهاية هذا اليوم المشحون
أغلقت باب المنزل بهدوء متجنبة إيقاظ من هم بالمنزل لتفادى اى اشتباك محتمل
(طعاما جاهزا كالمعتاد)
قضت تلك العبارة في لحظة على كل الأحلام بليلة هادئة تتشارك معها فقط تلك الرواية التي لا تطيق الانتظار حتى تكشف الستار عن فحواها
نظرت بتساؤل مشوب بالإرهاق إلى أمها التي كانت تطالعها بنظرة تتطاير منها الشرر وكأنها قد أضاعت قيمة الاختراع الثوري المستقر بداخل مبرد الطعام منتظرا إدخاله في محيط دافئ حتى يصبح ساخنا تزيد رائحته الشهية حسد من سبقوك إليه منذ قليل
ثم أدركت ما وصل إليها من سيناريو خاطئ .. (أنها رواية يا حامى وليست طعاما) وقبل أن تهرب إمارات الامتعاض من على وجه أمها ..منعت الفتاة وصول أمارات الرضا بالعبارة التكميلية التي ألقتها قبل ترك البهو الرئيسي والاحتماء بغرفتها مما ستحدثه

كلماتها (لكنني لن أتناول الطعام على أية حال .. اشعر بتوعك بسيط)

تناهى إلى مسامعها صدى انفجارا ناتجا عن ما تركته خلفها.. كان اغلبه يعكس استياء من تلك الفتاة غير المهذبة التي لا تحترم مجهود أمها في تحضير هذا الطعام المعد بعناية

لم يتضمن الصدى اى شيء يؤكد انتباه الأم لما ذكرته نفس الفتاة عن التوعك أو ما بدا على نفس الفتاة أيضا من علامات الإجهاد والحاجة إلى البوح عما امتلأت به جعبتها وانسكب جزءا منه على ملامحها الساكنة

الإحباط الذي نتج عن هذا الحوار البسيط جعلها تعجل من قيأمها بكل الخطوات التي ستقطعها حتى تنفرد بتلك الرواية لتستبعد ما عداها من روايات وأحداث واجهتها

لم تعد تلوم نفسها على الهرب ولم تعد تشعر كما كان بالندم على إضاعة فرص الاستمتاع بالواقع

الواقع لا يناسبها ولن يناسبها يوما

هي من أولئك الذين يحاولون تدارك فرصهم الضائعة برسم فرصا أخرى أكثر صبرا وتنوعا حتى وان لن يحصلوا عليها قط !

يوم عمل آخر انتهى منذ قليل
أخبرتها إحدى زميلاتها في القناة أن رئيس المحطة قد اعتذر عن الحضور بسبب ظرف شخصي طارئ
موقف آخر يؤكد للمرة المليون إن الحظ يلعب لعبته المعتادة في السير عكس المسار الذي رسمته لتجد فجأة رياحا عاتية محملة بالأتربة تساوى مسارك هذا بالتراب
حتى الرواية التي اقتنصتها بالأمس لم تكن بالمستوى الذي تتوقع، المستوى الذي يعزلها عزلا تاما عن حياتها الرثة وينقلها إلى أخرى أكثر زخما وديناميكية.. كلها اشارات تهبط بمستوى طاقتك إلى الصفر باقتدار
أضف إليها ما ألقته زميلتها على مسامعها قبل أن تغلق باب الاستديو الذي تعتبره مملكتها الخاصة وبعد أن وجدت الملف الذي دلفت للبحث عنه
(لقد تولى إدارة المحطة منذ أسبوع فلا عجب انك لم تلحظي وجوده أو تشعري بأي تغيير، بالنسبة لك الأمر يحتاج إلى شهر على الأقل)
قالتها بشكل ساخر عفوي لكنها دون قصد اتكأت دون قصد على ذلك الجدار الذي تصدع وامتلأ بالشقوق داخلها
أيقظت فيها تلك المشاعر المزعجة حول عزلتها المفرطة، تبقى تلك المشاعر كالوحش النائم والذي يجعلها تستجدى كل الظروف لئلا

توقظه
لكن رغم محاولتها إلا أنه يعانى من رهافة السمع ليسارع بالاستيقاظ وإيلأمها من تعليق بسيط كهذا
لا احد يحاول أن يقبلها كما هي أو يطمع في ما تمتلكه من فكر ناقد أنيق أو إرث ثقيل من الشفافية
الكل يحاصرها ويضيق على افقها الواسع مما يدفعها إلى تقديم أسوأ عرض ممكن أمامهم
مما يعنى خسارة المزيد من البشر وكسب مزيد من الصراعات مع النفس ..صراع ما بينه كما خلقها المولى وهى كما يريدونها ..
أبله هو من يطالبك بتحقيق التوازن وارتداء قناع وفقا لكل محفل وعندما تعود إلى المنزل تنزعه ببساطة فلا يصيبك شيئا من شظايا الحياة.. لقد حسمت أمرها منذ زمن بعيد وقررت أنها لن تخسر نفسها لتجنى علاقات مؤقتة
رن هاتفها فتجاهلته
رن مرة أخرى فامتدت يدها في بطء لتطالع الشاشة بنصف اهتمام رقما مجهولا....
قبل أن تعيده إلى مكانه رن مرة أخرى فضغطت على الحيز الخاص بقبول المكالمة على سطح الشاشة
(الأستاذة سارة .. معك طارق المهدي)
تسمرت للحظة وتعقد لسانها ثم اندفعت محاولة إضفاء اكبر كم

من الهدوء والرزانة في صوتها (أهلا أستاذ طارق.. خيرا ؟)
صمت لبرهة وكأنه صدم من الرسمية الزائدة في نبرتها ثم قال (لقد حصلت على رقمك من قسم الموارد البشرية ، كنت مهتم أن لا اترك انطباع سيء بعدم التزامي بالحضور اليوم لكنني بالفعل تحت رهن ظروف لن تسمح لي بترك المنزل)
نما لديها مشاعر القلق من هذا الاهتمام الزائد وقلل أيضا من نسبة الغموض التي طغت على شخصية هذا الرجل عند لقائها الأول به أمس.. لقد انجرف سريعا نحو مستنقع الرجل التقليدي الذي تشكلت عقليته بصورة نمطية تجاه كل امرأة يقابلها ويعتمد على نفس الأساليب اللزجة في جذب اهتمأمها
(أتفهم ظروفك تماما ، يمكننا تأجيل الاجتماع إلى وقت آخر)
سهم بارد آخر أطلقته تجاه محاولاته لصبغ علاقتهما بحميمية مبكرة غير مبررة ولا تريدها من الأساس على أية حال !
(هل تجاوزت حدودي بهذا الاتصال ؟!)
صوته كان مليئا بالتساؤل ولهفة حقيقية في معرفة وقع تلك المكالمة عليها..
(على الإطلاق، الاعتذار هي وسيلة فعالة لاحترام الحدود وليس لتجاوزها)
وصل إلى مسامعها أنفاسه تتردد وكأنها تحاول اللحاق بالمعنى الكامن وراء عبارتها لكشفه لكن دون جدوى

أعجبها نوعا أنها أشاعت إحساسا عاما بالحيرة لديه وعدم القدرة على الإمساك بزمام الحديث مقارنة بالثقة المستفحلة التي لمستها عنده في اللقاء الأول

(أتمنى أنني لم افعل وأتمنى أن القاك للتناقش كما اتفقنا عند عودتي)

(بإذن الله)

صمت فاضح تغمد خطوط الاتصال بينه وبينها للحظات

ذكرتها بنظرته الخاوية العميقة التي طالعها بها بالأمس

فقامت بنفس رد الفعل تنحنحت ثم ألقت كلمة وداع سريعة وأغلقت الهاتف في أقل من ثانية وكأنها تمنع وصول شبح سيجردها من البلورة التي استخدمتها لتلفح عينيه بضيها لتسرق منه سره الذي كان يضمن له تحقيق تأثيرا مخيفا على الجميع

لقد فعلتها بمهارة محترفين تلك المرة !

(دعونا نرحب بالكاتب والأديب العربي الكبير مؤيد المنهالى .. والذي حصل مؤخرا على جائزة أحسن عمل أدبى لكاتب اجتبى (غير فرنسي) بمسابقة روايات حول العالم التي أقيمت في مدينة باريس الشهر الماضي .. أهلا وسهلا بك أستاذ مؤيد)

(اهلا يبكى) اصطبغ رده بلكنة فرنسية واضحة مما جعله أجنبيا بشكل مزدوج ، سواء في بلد المهجر التي قرر العمل منها وحتى عندما عاد إلى منطقة نشأته الأصلية

شعرت انه يحتاج إلى الإشفاق عليه أكثر من الحاجة إلى التبجيل والاحترام ، ما الذي قد يدفع شخص للاندساس في ثقافة أخرى رغم إن هدفه هو دعم ثقافته ولغته الأم من خلال إنتاجه الأدبي ؟

إذا كان هدفه هو الوصول إلى العالم فليفعل ذلك من بلده وان تعذر عليه ذلك فليفعل ذلك بلغته إما أن ينتشل نفسه انتشالا من وسط كل تلك الاعتبارات الهامة محاولا إقناع نفسه أن العمل سيفرض نفسه.. هذا أمر سيسحب الكثير من رصيدك ، العمل الأدبي لا يعكس فقط حدث في زمان ما أو في مكان ما

هو عمل سيريالى مرتبط ببعضه البعض وعلى القارئ أن يشعر انك ككاتب قد أصابك جرحا مثلما أصاب بطل الرواية ،انك قد تواجدت في وقت الصراع وقد أغرقتك مياه الأمطار المشبعة بأدخنة المدينة العريقة بينما أنت ممسكا بقلم رصاص قارب سنه على الاختفاء بين التجويف الخشبي المحيط به لحرصك على تدوين كل تفاصيل

الحدث وأنت قابع بداخل تلك الحافلة ذات المحرك المنهك
لكنك تلغى كل هذا ببساطة عندما تعلن انك تعمل من بلد أخر داخل منزل أنيق جالسا أمام مدفأة حديثة بينما تنساب موسيقى أسطورية من مسام مشغل مدمج حديث باهر التصميم
كانت قد قررت عدم الذهاب إلى عملها اليوم حتى تكمل تلك الرواية التي جاءت دون توقعاتها (هذا هو السبب الظاهر) رغم أن الرواية قد استقرت بجانبها وقد ثنيت إحدى صفحاتها بعد عدد قليل من الصفحة المخصصة لعرض فهرس الفصول
إذن فلقد انتصف النهار دون أن تقرأ سوى صفحة أخرى أعقبها فترة طويلة قضتها في الحملقة بأرجاء المنزل وكأنها تكتشفه من جديد أوكأنها تريد الإمساك بأي خيط يوصلها إلى المغزى من وراء حياتها
ربما هذا الخيط مختبئا تحت مرقدها أو بجانب الأوانى الفخارية الممتلئة بالشجيرات الصغيرة في بلكون غرفتها
أو سيخرج ليلا من خلف خزانة ملابسها .. من يدرى ؟
أرادت فقط العودة إلى الأصل .. إلى المنشأ مثلما فعل ذلك الكاتب المعلق بين الاشتياق لثقافة لن يستطع العيش فيها مرة ثانية وبين أخرى تمنحه الكثير دون أن يصل معها إلى إشباع حقيقي للظمأ الذي أحدثه الابتعاد عن بلده
لكن تلك المحاولات لاكتشاف الذات قد قتلها الملل بعد مرور

ساعات قليل على استراحة المحارب التي خصصتها لنفسها على الرغم أن الجو كان مهيئا ..حيث كان المنزل فارغا إلا منها بعد أن سافر كل أفراد أسرتها إلى تلك البلدة المتطرفة من العاصمة للتزاور مع الأقارب .. الجميع مؤخرا اجتاحتهم رغبة العودة إلى الجذور على ما يبدو !

لكن ما اكتشفته في تلك الساعات أن الأمر سيستغرق وقتا.. أو بمعنى أدق عملية اكتشاف الذات هي عملية ذات طبيعة خاصة يجب أن يكون لها مساحة داخل العقل بشكل دائم ، بشرط أن تضمن لها عدم تعدى اى مساحات أخرى على حسابها ولا تتوقع أن تحصد من وراء ذلك شيئا في اللحظة

فقط دع العملية تأخذ وقتها وتختمر جميع عناصرها وتستقطب كل ما يجعلها أكثر غنى لتفاجئك بعد ذلك بنتيجة حاسمة مبدعة لم تكن تتوقعها !

(هل يجب أن تتوافر صفات بعينها فيمن يريد أن يصبح كاتبا أو من يبدأ خطواته الأولى في عالم الكتابة ؟)

(سيدتي أن الأمر ليست وصفة للطعام، من يريد الكتابة سيفعل ذلك دون النظر إلى صفاته الشخصية.. هي فقط مجرد صورة أخرى من صور الطاقة التي يعجز الأفراد عن إخراجها بالكلام أو بالسلوك.. أشياء تتراكم بداخلك ولا تستطع أن تعبر عنها سوى بالورقة والقلم وذلك لسببان .. الأول أن تلك الأشياء أكثر رقيا من التعبير الشفوي

و الثاني لأنك تمتلك ما يمكن أن يحولها لمادة ممتعة لمن حولك وليس لنفسك فقط)

(وما هي النصائح التي توجهها لمن يريد احتراف الكتابة أو من يعمل على عمله الأدبي الأول ؟)

(أن يخرج كل ما علق بذاكرته أو مسام نفسه فيما يكتب.. هذه هي فرصتك الذهبية يا بنى لتخرج ما ترددت كثيرا في مشاركة الأخريين أو ربما نفسك ذاتها فيه .. كفاك حياء وكتمانا، إنها لحظتك فاستغلها حتى حدها الأقصى)

تركت زوايا السقف الذي كانت تتأمله بنهم لتدرك فجأة دقة حوافه المنقوشة بفن وحرفية وذلك لتعود يعيناها إلى الشاشة العملاقة المسطحة أمامها والتي ظهرت عليها في نفس اللحظة المذيعة وقد بدى عليها بعض الارتباك وهى تتأهب لإلقاء سؤالا أخرا على هذا الكاتب ذو النزعة الأبوية

(أيعنى ذلك أن يكتب اى شيء حتى وان بدا غير لائقا من الناحية الأخلاقية أو حتى غير ذات معنى ؟)

طالعها الكاتب بنظرة متفحصة مستهزئة وكأنها طفلة تنطق لأول مرة مما جعل حديثها عبارة عن لغو بلا قيمة وغير قادر على إقناع اى بالغ

(ما تريه أنتي أو يراه احد غير أخلاقى أو غير ذات معنى قد يمثل طوق النجاة لأحدهم .. الكتابة ليست سيارة ينبغي صناعتها وفقا

لمقاييس السلامة والأمان فهي بالأساس جهد بشرى محض ولذا قد تكون عشوائيتها أو تحررها هي مصدر جمالها أو مبعث تأثيرها على القارئ ء)

ارتسمت على شفتاها ابتسامة إعجاب بما قاله الرجل ثم مدت يدها نحو الشاشة بجهاز التحكم عن بعد في الوقت الذي كانت فيه المذيعة تحاول جمع شتات منطقها الضعيف الذي بعثرته كلمات الكاتب الساحقة لتقول بتلعثم واضح

(نشكركم جزيلا على منحنا هذا الكم من وقتكم ورؤيتكم الاستثنائية كما نشكر المشاهدين...)

أظلمت الشاشة فجأة بسبب ضغطها على زر الإغلاق

ألقت جهاز التحكم بجانبها ثم شبكت يديها على قفصها الصدرى مطلقة زفيرا طويلا بينما في ذهنها كانت كلمات ذلك الكاتب تتردد دون انقطاع .. ويتخللها بين الحين والأخر عبارة تلك المذيعة المسكينة (نشكركم جزيلا).

(الحقيقة أن كل منا لديه نوعان من الحياة المؤجلة، واحدة يعيشها بجسده والأخرى محصنة داخل عقله فقط.. تلك التي يحياها بجسده هو غالبا غير راضى عنها ويراها اقل بكثير مما يستحق حتى وان كان نصيبه من متعها كبيرا ووفيرا ، أما الأخرى فهي التي تمثل له النموذج المثالي لما يجب أن تكون عليه الحياة ، تكون في البداية مادة خام بلا تفاصيل محددة لكن مع الوقت يملأها الإنسان بما لا يتاح له في حياته الحقيقية .. ستجد في هذا الركن منزله البسيط المستلقي بخفة على شاطئ فيروزي اللون وتجد في ركن آخر فتاته تربت على يديه لتملأه بأعنف طاقات التحدي لأزماته الطارئة ولا تستبعد أن تجد في مكان ما تلك الغابة الاستوائية التي يجوبها خالي الوفاض في محاولة للبحث عن علاقة مفتقدة بينه وبين البراري الشرسة لترويض طموحاته المادية القاتلة .. اغلب الخلق تعيش وهى تعانى من هذا الانفصام العقلي المزمن لأنهم يؤمنون باستحالة امتلاك حياة بهذا القدر من الإمتاع الحسي الفائق ويظنون أن الواقع هو قبيح بطبيعته ولن ينالون منه سوى ضربات موجعة لا نهائية
لكن الأمر ليس هكذا على الإطلاق
الحياة كما يجب أن تكون هي شيء يمكنك الحصول عليه إذا أردت ذلك حقا
وحقا هنا تعنى الفعل وليس فقط التمني
حياتك النموذجية المثلى المؤجلة هذه لن تتحقق إلا إذا أصبحت

جزءا من حياة شخص آخر
الله خلقنا أمما بالمليارات ليس لنحظى بحياة قائمة على النزعة الفردية
بل ليسهم كل شخص في حياة الآخر بقدر
هذا يملأ الفراغ عند كلا الطرفين
ولذا عليك أن تصنع حياة مثمرة إما بالتأثير اللحظي أو اللاحق في حياة الأخريين
وقتها ستعش حياتك كما أردتها دوما..ودون اى تأجيل)
جالت بعينيها وهى تلتهم تلك السطور التي وردت كجزء من تعليقات هذا الكاتب العربي الذي رأته عصر ذلك اليوم كضيف في برنامج
كان الليل قد أسرف في الغوص داخل الساعات القليلة الباقية من عمر هذا اليوم
أسرتها قد عادت بكامل طاقمها بالفعل
يمكنها سماع أحاديثهم القادمة إليها من خارج غرفتها بوضوح مصاحبة لصوت سقوط أجسام والصوت المميز لإزالة ذلك الغلاف البلاستيكي عن مشتريات جديدة
أسعدها أنهم منهمكون في حفلتهم ولم يدعوها لمشاركتهم إياها ولو حتى بنداء يشق دوما عنان استرسال أفكارها الغزيرة فجأة
لقد اعتادوا تدريجيا على نمط حياتها التي اختارته رغم عدم رضاهم

به
لكن كونها قد تجاوزت العشرين برقم لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة وكونها أصبحت ذات دخل مادي مستقل جعلهم يرون ما تتبناه من سلوكيات كأمر واقع وطبيعة شخصية ارتضتها هي لنفسها
لا يمكنهم إملاء أو فرض أمور عليها بعد أن بلغت تلك المرحلة من حياتها
كانوا رغم كل شيئا يكنون لها رغبة في تركها تخوض غمار الزمن مثلما تشاء رغم تدخلاتهم المعتادة بين الحين والآخر
لا شك أنها كانت تائهة ولا تعلم اى من الأهداف والانجازات يجب أن تتشبث بها وتعطها الأولوية
هل يجب أن تهتم بالعمل على ثقل شخصياتها بالصدام الدائم مع البشر ومقطورة المجتمع بأكملها
أم هل يجب أن تنحى كل ذلك جانبا وتتفرغ للانجازات المهنية مما يعنى مزيد من العمل والارتقاء فيه بينما شخصيتها لا تأخذ نفس الحيز من الاهتمام ولا ترتقى بنفس القدر
كانت تتمنى الحصول على الأمرين في نفس الوقت
أن يكون عملها هو وسيلتها لإضفاء مزيد من البريق على شخصيتها الشاحبة ،التي شحبت بفعل قلة الاستخدام والتعاطى مع الانس فكل الاحاديث والمشاحنات التي كانت تجريها كانت تحدث في الداخل

كانت تشعر أحيانا أن كل البشر يسيرون في طريق بينما هي تسير في طريق آخر بعيد لا يصلها سوى أشعة الشمس الحارقة وأصوات فحيح الرياح الملتهبة بحرارة تلك الشمس

لا بحيرات تراها على مد البصر ولا سرب من الطيور يطوف حولها قد يخفف من وحدتها الاختيارية

أدركت أن قدرها ليس فقط أن تكون ذلك النشاز وسط مقطوعة موسيقية متناغمة

ولكن أن تعطى لهذا النشاز معنى ومدلول

أن تتوصل إلى اكتشاف هائل تعود به لهؤلاء القطيع لتؤكد لهم أن اختيارها كان صحيحا

وان الابتعاد عنهم كان كافيا لاكتشاف مسارات وطرق لم تكن لتلحظها لو بقت معهم تعانى مثلهم دون مكافأة تبرر تلك المعاناة على الأقل

هي تريد أن تضيف لهذا العالم لونا جديدا ليس من بين تلك الألوان الميزة لقوس قزح والتي تغمر السماء عقب ليلة مطيرة

أن يكون وجودها أو غيابها مثار تساؤل ومحققا لفراغ موحش للبشرية

ليس عليها أن تنفذ عملا عبقريا لتحقيق ذلك..الاهم هنا ان يكون مؤثرا وهنا سيكمن سر عبقريته

لكن في البداية يجب أن تأخذ قرارا بشان عملها الحالي أن كانت

تريد التفرغ بالفعل لشيء أسمي من مجرد الحصول على حفنة من الأموال في نهاية كل شهر
حتى تلك الأموال أصبحت لا تضيف بل تسحب من مخزونها الفكري ومن مقدرتها على تحديد أولوياتها الحقيقية
انسحب النور من عينيها في تلك اللحظة وغفت المدينة على مضض احتراما لرغبتها

كان يطالع عدد من الأوراق التي تنوعت ما بين الحاجة الماسة للتصديق على ميزانية ضخمة حتى يبدأ العمل على عدد من البرامج الجديدة التي ستلتهم المزيد من قدرة الناس على الحكم بعقلانية تجاه ما يفد إليهم من أخبار

أوراق أخرى كانت تنتظر البت فيها منذ فترة إدارة الرئيس السابق للمحطة وتعطلت بفعل هذا التغيير الإدارى المفاجئ

العامل المشترك بين تلك الأوراق أنها كانت تحتاج إمضائها فقط لكن عقله لم يكن قادرا حتى على إجراء ذلك المجهود العضلي البسيط

الحقيقة أنه لم يكن راغبا في شيء سوى في استمالة تلك الفتاة العتيدة التي تريد إنهاء كل شيء من قبل حتى أن يبدأ

كان يرى فيها قدرة على التميز الواضح رغم بساطتها وانعزالها الدائم في غرفة التحكم بالصوت داخل مبنى القناة

كان يريد الإبقاء عليها بأى ثمن رغم عدم علمه الدقيق بما يمكن أن يجنيه من وراء هذا ؟

لكنه كان يستطيع معرفة من يمكن أن يضرب بعرض الحائط من توقعات الناس ويلمع نجمه رغم انه خبا حتى ظن الناس انه غير جدير بالالتفات إليه .. خبرته الطويلة في مجال عمله ساهمت في خلق تلك الموهبة

لقد تردد طويلا في إجراء هذا الاتصال معها وكان على يقين بما

سيلاقيه من رد فعل متحفظ جامد منها
ربما صدق توقعاته أدهشه أكثر مما أراحه !
لأنه قد كان على شفا الكفر بوجود فتيات على تلك الشاكلة
من لازالت متمسكة بالحفاظ على كيانها من التمزق تحت وقع هذا العالم الصاخب .. وخصوصا في هذا المجال
اغلب من يعملون هنا فقدوا جزءا لا بأس به من آدميتهم نتيجة التدفق اللانهائي للأحداث التي تكشف سوء طبائع البشر
أصبحوا يرون ما يجرى على انه روتينيات العمل ولا يجب اتخاذه إلى منحى عاطفي لا يلائم ما مع ما تحتاجه متطلبات الوظائف في هذا المقر
لكن لقائه الخاطف والوحيد معها في ذلك اليوم أعاد له الأمل
لمح في عيناها تلك النظرة التي اختفت من بين أعين من يلقى بهم الزمن أمامه
نظرة قوية مؤمنة رغم الوهن والإنهاك الذي بدأ يتحسس طريقه بجسارة إلى ملامحها الهادئة
يمكن أن تأتمن من هم مثلها على أشياء ربما لا يأتمن الشخص سوى نفسه عليها
مثلها لا يعطى اى قدر للماديات أو تلك الأضواء الكاذبة التي يتمرغ بها فارغو العقول والقلوب
مثلها لا يبجل سوى حجم ما تمتلك من فكر أو احساس بمن حولك

،يمكنك بهذا فقط أن يكون لك بعض الحظ في الاقتراب منها
وبغير ذلك لن تجد سوى قلعة حصينة مدججة بالمدافع لن تنال منها سوى الدمار إذا ما حاولت اقتحامها عنوة
كل هذا جعله يشعر أمامها فجأة بأنه لا يمتلك شيئا وأنها تمتلك كل شيء
ولذا أريدريه. أن روحا مثل الذي تمتلكها أن تتواجد في مكان عمله لسبب لا يدريه .. أو ربما سيكتشفه مع الوقت
كان يضايقه هذا الجهل بدافعه من وراء ما يفعل فهو لم يعتد ذلك فطبيعته كشخص تفرض عليه الدراية بالأسباب الواضحة لما يستنفذ جزءا من جهده
لكن تلك المرة كانت مختلفة .. كان يبذل الجهد بكرم زائد وسخاء لم يعتد عليه
رآها فجأة تمر من أمامه وتتجه لمكتبه في إصرار وكأنها تتجه لقدرها المحتوم بإرادة إلهية لا يستطيع مخلوق ردعها
لم تتجه لمحرابها الهادئ كعادتها عند الحضور لمبنى القناة ..الأمر إذن هام للغاية
اعتدل في مجلسه سريعا وامتدت يده بحركة لا إرادية لغلق هاتفه النقال وكأنه لا يريد لاشى عامل خارجي أن يؤثر على مجرى الحديث بينهم
وجدها تطرق على الباب رغم كونه زجاجيا ويسمح للطرفين رؤية

بعضهما بوضوح ومن ثم تنتفي الحاجة لتنبيه من بالداخل
لكنه توقع منها تصرفا مماثلا لأنه على دراية بتهذيبها الشديد..
سبب آخرالخير.لي القائمة التي جعلته متمسكا بها
(صباح الخير .. هل يمكننا إتمام الحديث المؤجل بيننا الآن ؟)
قالتها بابتسامة غلفت بها الحرج الواضح على قسامتها
(بكل تأكيد)
كانت تكتنفه مشاعر متضاربة وهو ينطق بتلك العبارة القصيرة ..
كان يريد اكتشاف المزيد من جوانب شخصيتها وفى نفس الوقت
كان يعلم أنها لن تعطى له الفرصة لذلك وسرعان ما ستشيد
أسوارها الشاهقة
(أتمنى أن تكون تلك الظروف القهرية والتي أجلت من لقائنا قد
مرت بسلام)
كانت تريد أن تهدئ من روعه بعد اقتحامها لمكتبه ،كما كانت
تريد أن تبدأ حديثها بإيقاع هادى حتى تتمكن من سرد ما تنوى
قوله وهى مرتخية من الناحية الذهنية
(أصبحت الأمور أفضل .. شكرا جزيلا على اهتمامك)
قالها بسعادة حذرة ليقين داخلي ينبئه أن القادم سيكون أسوأ !
(أستاذ طارق .. إذا سمحت لي أن أسالك، لماذا تتواجد هنا ؟)
لم يكن ذهنه صافيا بسبب ملايين الأفكار التي طغت على اى
محاولة لتحكيم العقل وحده للوصول إلى مغزى سؤالها

تداركت سؤالها بمزيد من التوضيح وقالت (أعنى لماذا تعمل في هذا المجال ولماذا جندت سنوات عمرك للتقدم والنجاح فيه دون غيره ؟)

اخذ نفسا عميقا ثم طرده وهو يحاول أن يطرد معه كل ما يعيقه عن استخلاص مقصدها

(لأنني شخص أدارى بطبعي، منذ الصغر وأنا مهووس بالسيطرة والتحكم و القدرة على ملاحظة التفاصيل الدقيقة التي لا يعيرها غيري انتباها كاملا والقدرة أيضا على توظيف القدرات البشرية المختلفة في مكانها المناسب.. سبب اختياري لمجال الإعلام هو إيمانى بتأثيره شبه المطلق على عقول الناس مقارنة بأي وسيلة أخرى فرأيت انه الأنسب لما اتسمت به شخصيتي من سمات)

ظلت صامته حتى انتهى من كلامه لكن بدا عليها أنها لم تصل بعد إلى الإجابة التي تريدها

(أيعنى هذا أنك تحب ما تفعل ؟)

شعر أن إجابته على هذا السؤال ستكون مفصلية في هذه الجلسة وستحدد الكثير من الأمور..

صمت للحظات وهو يحاول الوصول إلى إجابة محايدة لكنه لم يجد سوى أن يقول

(العمل النظامي المعقد يزيح فكرة الحب من المعادلة لأنه يسير وفقا لقواعد ويراعى الجوانب المادية بالأساس وبالتالي يتضاءل

حضور عوامل أخرى تتعلق باشتراط شغفك بما تفعل أو احترامك له .. تلعظيم.تراطات لا وجود لها في عالم الأعمال إلا بالقدر اليسير لكن على اى حال أنا أحب ما افعل إلى حد ما وليس في المطلق)
طالعته وهى تتابع كلماته بتركيز تام ثم قالت
(عظيم ... على اى حال الأمر بالنسبة لي مختلف ولقد اكتشفت أنا ما افعله لا أحبه ولست قادرة حتى على تحقيق موائمة والتكيف مع متطلباته ولذا لن استطيع الاستمرار به)
قبل أن يبادر بالتعقيب سارعت بتذييل حديثها بعبارة ختامية ستجعل اى محاولة للإثناء عن هذا القرار غير مجدية
(لقد جمعت كل متعلقاتي بالفعل وكتبت استقالة مسببة ستصل إليك في خلال دقائق على أقصى تقدير ، أتمنى لك التوفيق في مهمتك الجديدة أستاذ طارق)
كان عقله ممتلئ بالكثير ليقال لكن لم يصل اى شيء منه لفاه
هناك انقطاع مفاجئ حدث في الاتصال بين الإشارات التي يرسلها المخ وبين قدرة الفم على ترجمتها إلى كلمات
شاهدها وهى تغادر بسرعة كالسراب ..وكأن ما تم بينهما منذ قليل كان كابوسا أو حلما غير مكتمل
أما هي فتأملت وهى تغادر لآخر مرة المكان الذي عملت به لعام ونصف
كانت ممتنة فقط لكونه ساعدها في الوقوف على محاور كانت

مختبئة في شخصيتها
جعلها تدرك على الأقل ما لا ترغب في فعله
وستساعد هي نفسها لاكتشاف ما الذي تريد أن تملأ به حياتها
من جديد .

(هل من مشاريع جديدة تلوح في الأفق ؟)
جاء السؤال من والدها الذي كان أول شخص في المنزل قد أخبرته بقرار استقالتها ، كان يتسم بالعملية والفكر المنظم مما اخفي جزءا من حميمية علاقته بها لكنها كانت واثقة انه لا يريد لها سوى الخير رغم أنه كان يتجنب توجيهها بشكل مباشر
استوعبت تلك الحقيقة منذ الصغر .. إلام تستهويها فكرة السلطة بينما يمارسها الأب فعليا دون ضجيج
الأب يستوعب الجميع ويحتويهم مما جعل القارب يسير بهدوء رغم الأمواج العاتية التي كانت تضربه بين الحين والآخر
ربما هذه القدرات القيادية جعلته ينسى أن يدمج شيئا من العاطفة تجاه الأعضاء الدائمين على سطح هذا القارب الموقر ،فأصبحالمنزليتر اوحبينقطبيناحدهماستوائساخنوالاخرمتجمدباردولذالمتكتملاكتل اتثلجيةتعرقلالمسيرةولمتنجحالحرارةالشديدةفتجاوزنطاقهاالمرسوم
وربما هذا أيضا ما احدث تشعبا وانقساما في شخصيتها لكنه لم يكن انقساما حميدا اكسبها ثراء روحانيا بل على النقيض جعلها مشتتة وكثيرة التردد تجاه المواقف والأزمات التي تحتاج إلى ثبات في مواجهتها
(نوعا ما)
قالتها كمحاولة لطمأنة أباها الذي لا تريد أن تخيب ظنه وتشعره أنها تتبع خطوات محددة للوصول إلى هدفها وأن مستقبلها لن

يقع رهنا لتقلباتها المزاجية ،كماكانت تحاول التأكيد لنفسها أن مصيرها لن يكون العراء بعد ما اختارت الخروج من هذا الكهف الذى حجب عنها اى امكانية للتمدد خارجه

(أتريد أن تشركي أباك فيها.. أم أن إبقاءه سرا سيكون عاملا أساسيا لإتمام المشروع ؟)

أشرقت ملامحها بابتسامة كاملة وهى تلمح في عينيه احتراما عميقا لتلك الفتاة التي كان منذ أيام فقط يجدل ضفائرها وهى تلهو بألعابها الصغيرة مثلها على إحدى ركبتيه

(أريد أن أحظى بدعمك فقط يا أبى)

ربت على شعرها بيده التي برزت عروقها وتهدل الجلد عليها ثم قال

(أنا على يقين انك تريدين ما هو أكثر من حياة واحدة لأنك تمتلكين فائض لن تسعه حياتك فقط وسيظل الشعور بالإثم عائقا أمام التقدم إذا لم تشاركي العالم ما تمتلكينه من رسائل وتضيفي عليه سحرك الخاص، وفقك الله يا سارة)

لفت كلتا يديها حول خصر أباها وهى تحتضنه بقوة وتمكنت من الاستماع إلى دقات قلبه الذي أثقلها سنوات عمره الستون فأصبحت أبطأ رغما عنه

كانت ربما من اللحظات القليلة في عمر علاقتهم كأب وابنة التي يبدى فيها والدها مشاعره بهذا القدر دون حساب وشعرت لأول

مرة انه يؤكد لديها النية في أن تأخذ حياتها إلى مسار جديد
بعيدا عن تحقيق الذات بمفهومها الضيق ،فهى تطمع في تغيير حقيقى
يطالها ويطال البلد المترامية الأطراف والمزدانة بأوجاع أهلها التي غطت على جمال محياها وانبتت فيها وفى شبابها بذور الشيخوخة المبكرة

شوارع وسط البلد هي المعبر الحقيقي عن عظمة هذا الوطن ، لن تستنتج ذلك فقط بالنظر إلى المباني العريقة المنتفخة بفعل هول مساحاتها وضخامة كتلتها الخراسانية وليس فقط بسبب الرائحة المميزة للبن المحمص والنرجيلة وعطر المخبوزات الساخنة الفواح الذي يهرب خلسة من بين محال الحلويات المتناثرة بطول شوارع المنطقة

بل لأنها شهدت على آخر فترة من أمجاد مصر ، يمكنك التعرقل بأحد قادة الكفاح ضد الاحتلال بأصنافه سواء الخارجى أو الداخلي.. ستجد تماثيلهم الإسمنتية منصوبة بشموخ في كل مفرق طريق وتعتلى على وجوههم سيم الشمم والإباء وتمتد يداهم إلى الأمام وكأنهم مازالوا في قبورهم يوجهون هذا الشعب لان الموت ليس مبررا كافيا ليتوقفوا عن أداء دورهم الوطني

تشعر أن أرواحهم تحلق في المكان جيئة وذهابا لتؤكد للمارين أن ذلك المجد كان قريبا ولم يبتعد وان الشاهدين عليه قبعوا في نفس المكان للتأكيد على إمكانية استرجاعه يوما ما

لم تتوقف عن الإبحار بعينيها في تفاصيل ما تمر به من عمارات متلاصقة ، البعض تبدأه من أسفل لأعلى ثم تلتف حول نفسها حتى لا تترك اى تفصيلة مما جعلها تصطدم بالمارين الذين كانوا يرشقونها بنظرات الدهشة والتعجب من ذلك الكائن الذي مازال يمتلك رغبة في التأمل بهذا التاريخ البالي ، بينما هناك مباني أخرى

تبدأها من اعلي لأسفل عندما لمحت في احد الشرفات العلم المصري وهو يرفرف في قوة ثم يتمهل حينما تنخفض سرعة حركة الرياح وكأن أصابه بعض الخجل من هذا الإعلان الصريح عن نفسه في بلد أصبح الناس لا يعترفون بهويتهم إلا مجبرين

كان الجو قد اقترب من التماس مع فصل الربيع ولذا كانت الشمس شديدة لكن نسمات الهواء البارد اللذيذ كانت تعيدك إلى رشدك معلنة عن تضامنها الذي لا زال ساريا مع فصل الشتاء

وجدت أن تسكعها في تلك الطرقات سيعيد إليها رشدها الذي أوشكت على فقدانه بالكامل تحت أنقاض تلك المهنة القاسية

كما سيبوح لها ببعض الأسرار التي ستعمل على كشفها

لقد نفذ بئر الأسرار الكونية لديها منذ أن تعمقت في عملها ولم تعد تمتلك وقتا تمنحه لإطعام روحها التي اعتادت ألا تتوقف عن التساؤل

اكتفت بالتعامل مع ما يفرضه عليها الواقع من حقائق صلبة بينما انسحب رويدا تلك الحاجة للنهل من ما يقبع خلف تلك الحقائق من طبقات ممتلئة بما هو أعمق

طبيعتها ليست بتلك السطحية التي تقنع بالوجود المادي للأشياء لكنها دوما ما تنقب بإصرار وجدية عن الوجود المعنوي

ما يتوارى وما لا يظهر بوضوح لكنه يتحكم فيما يجرى بعالم الماديات

لقد توصلت في خلال تلك الفترة التي لا تتجاوز الثلاث أيام عقب ترك وظيفتها، أنها مهما وصلت إلى مركز متقدم في عملها فان ذلك لن يخف من حدة ما يتركه المجتمع فيها من أثر قبيح

يمكنك أن تنعزل وتحيط نفسك مثلما شئت بأبواب الأسرة المتماسكة والعمل الجيد والرفقة الصالحة لكن تلك الأبواب لن تتمكن من الصمود أمام هذا التيار الكاسح من الانحطاط الفكري والسلوكي الذي ضرب هذه البلد في مقتل ومازال يسلخ الباقي منها دون تهاون أو شفقة

أدركت أنها إذا أرادت أن تحيى حقا ،وليس فقط أن تسلم نفسها لقانون الدفع الأوتوماتيكى الذي يعتمد عليه اغلب البشر هنا في تسيير أمورهم ، فعليها أن تحدث تغييرا مزدوجا

تغيير في حياتها.. و يا حبذا لو نجحت في إحداث ولو كدمة في وجه تلك الحياة النمطية حولها

الهدف والغاية محددان أما الوسيلة لازالت غائبة عنها

كيف يمكنها تحقيق تلك المعادلة الصعبة ؟

(الرواية لم تحقق اى مبيعات تذكر حتى الآن)
قالتها تلك السيدة بوجه مكفهر وشفاه مزمومة وكأنها تحاول الإيحاء أنها لم تكن مصدر التفوه بتلك العبارة التي تشتمل على معنى صادم ومخزي بلا شك ولذا سيتبرأ اى شخص من مسؤولية إلقائها وخاصة عندما يجمعك بالشخص المعنى بها علاقة طيبة وليس فقط علاقة عمل لا تتطلب العناية بمشاعر الخائضين فيها
كانت ترتكن بظهرها على حافة الطاولة بينما ضمت بيدها حفنة من الأوراق الغير مهندمة وهى تقف أمام ذلك الرجل أشيب الشعر الذي جلس على مقعد بالقرب من نافذة زجاجية تطل على لقطة بانورامية لقلب المدينة من أعلى
كان يبدو عليه عدم الاستعناء بما قالت حيث لم يبدو على ملامحه ما يدل على ذلك
اكتفى يطرق أطراف أنامله على مسند المقعد الخشبي الخاص به، بينما احتشدت عيناه بتلك النقاط الضوئية الصغيرة للعالم الخارجي و التي ترقرقت على سطح النافذة وانعكست عليها كمحاولة للتمويه ومنع ذهنه عن الانشغال بما أبلغته مديرة أعماله منذ قليل لم يكن يتجاهل ما قالت قدر ما كان يحاول استيعابه حتى يتمكن من مضغه وابتلاعه دون تأفف
الأمر أصبح حقيقة بعد أن راود عقله كاحتمال منذ سنة تقريبا
شهدت تلك الفترة أول استشعار منه أن منابع الخيال قد بدأت

تتسرب من بين جنبات خلاياه العصبية
لكنه لم يرد التشبث بها لاستعادتها، كان يترك لها المجال لتأخذ قرارها بالبقاء أو الرحيل وفقا لرغبتها
في تلك الفترة كان يضع اللمسات الأخيرة على روايته التي ابلغ منذ قليل أنها فشلت في حصد اى اهتمام يوازى حجم المعاناة التي تكبدها لإنهائها
كانت أداواته على غير العادة عاصية عن الترويض ورافضة أن تستجيب لنداءاته المتكررة
لا يعلم إن كان أصابها الزهد بعد أن وصلت لذروة تألقها وبدأت في اتخاذ منحنى الهبوط راغبة في أن تترهبن بعد إن نالت ما كانت تشتهى من نجاح ومتع دنيوية زائلة
أو ربما تحتاج إلى تنشيط وإعادة هيكلة مثلها مثل المعدات الثقيلة التي تضطلع بالمهام الجسام في الصناعات الثقيلة
ما يزعجه فقط انه لا يستطيع تحديد اى الاحتمالين أرجح أو اصح يتمنى أن يعود إليه الإلهام ولو للحظات حتى يجيبه عن هذه التساؤلات التي ضج بها عقله في تلك اللحظة التي سمع فيها اسمه يقال بنبرة خافتة
(دكتور مؤيد ؟)
انتشل نفسه سريعا من تلك الدوامة الفكرية والتفت إلى مديرة أعماله التي غيرت من وضعها وتركت الأوراق على الطاولة واقتربت

بعض خطوات في اتجاهه لكنها ابتعدت بهدوء عندما تأكد لها أن ما أصابه هو مجرد انفصال جزئي عن الواقع لا أكثر

(لماذا تم اختيارها إذن كأفضل عمل أدبي في تلك المسابقة ؟!)

نظرت له في تساؤل وكانها لم تستطع استيعاب ما قال أو تريد تجنب الإجابة

(الجائزة تعطى لجدارة العمل الأدبي ذاته بغض النظر عن حجم المبيعات التي حققها)

خرجت منها العبارة بصوت مبحوح نظرا لعدم اقتناعها بما تقول كانت على وشك أن تضيف بعضا من المنطقية بعبارة أخرى لكنها توقفت في اللحظة الأخيرة لأنها تعلم أن لا شيء سيدخل إلى عقله لفترة

هو في حاجة إلى الصمت الآن

فقط

(ماذا عن دار النشر ؟)

أيقظها السؤال قبل أن تستسلم لصمت أعمق فقالت (هذه الرواية تعد الأخيرة لنا في تعاقدنا معهم، لكنهم سيرغبون في تجديد التعاقد بالتأكيد)

كانت أول محاولة من جانبها لدعمه في أزمته تلك ولإشعاره أن هناك رصيد من الثقة لديها ولدى الناشرين قادرا على التكاتف معه خلال تلك الفترة العصيبة من حياته المهنية

(الساحة أصبحت مزدحمة ، الكثير من الشباب أصابتهم الحياة بالخرس وأضحت الكتابة هي وسيلتهم البديلة للتحدث .. لم تعد الكتب مقصورة على تلك الأسماء الرنانة في عالم الأدب والفكر والذي كان إنتاجهم منها شحيحا وعظيم القيمة ، الآن تحولت تلك الصناعة إلى ما يشبه محال الملابس .. هناك الكثير منها لكن لا اختلاف تقريبا فيما يعرض على واجهاتها من أذواق.. تشابه الإنتاج الفكري هو دليل واضح أن الكل يشعر بنفس الآلام ويتعرض لنفس الحجم من الضغوط الحياتية ولذا تحولت الكتب إلى ما يشبه المذكرات التي تسجل محاولات الكاتب للبقاء حيا في مواجهة مجتمع الغابة ومن ثم فهو لا ينقل إلى القارئ جديدا ، فقط يساند القارئ ويخبره ضمنيا انك لست وحدك وان الجميع يشاركونك نفس المعاناة لكن بتفاصيل مختلفة نوعا .. هذا ما جعل هذه النوعية من الكتب تلاقى رواجا وتتقهقر ما عاداها من أنواع)

كانت تستمع إليه باهتمام كامل ممزوج بدهشة من إخفاق عقلية نقدية منظمة كالتي يمتلكها في إنتاج مزيد من الروائع

(ما اقصده هو أن دور النشر أصبحت مهووسة بهذا الخط من الإنتاج الأدبي لأنه أصبح كطوق النجاة الذي أنعش عالم الكتب بعد فترات جفاف طالت عائدات الناشرين وأمل الكاتبون أنفسهم في جني اى حيز من اهتمام الناس .. أنا لا أريد أن تكون اعمالي ملقاة على الرف الأخير من أرفف المكتبات دون سبب سوى لإثبات

الحضور ، كقطعة أثرية لا يبالى بها احد لكنهم لا يستطيعون التخلص منها بسبب قيمتها التاريخية لا أكثر ولا اقل)

تردد داخل عقلها ما يصبو إليه هذا الرجل بكلامه هذا من قرار ثم تفوهت به قائلة

(أيعنى هذا انك ستعتزل الكتابة يا دكتور ؟)

كانت تكتسي ملامحها بعلامات الذعر فبدت مثيرة للضحك لأنها يجب أن تكون مصدر الطمئنينة له في أمر طارئ كهذا

لكنه كان يعلم حجم الإخلاص الذي تشعر به تجاهه ، فابتسم بهدوء لأنها دائما ما تجدد إيمانه بردود أفعالها في صدق نوايا البشر ترك مقعده وسار بخطوات هادئة حتى دنا بشدة من النافذة وكأن ذلك العالم بالخارج قد همس له بشيئا يريد أن ينصت إليه جيدا صمت قليلا ثم قال بصوته الرخيم الذي قد تسمعه خارجا من إحدى شخصيات رواياته

(الكتابة لا يتم اعتزالها يا سيدتي، لكنني أخشى أنها تريد اعتزالي.. ولو لفترة)

لا بد أن الجو كان غائما ضبابيا لان العيون قد ارتجفت وهى تنظر إلى السماء لتستطلع ذلك الانحسار المفاجئ لأشعة الشمس وحضورها المميز

هناك شخص ما في مكان ما يعانى .. هكذا اعتادت أن تظن عندما تتلبد الأجواء بذلك اللون الرمادي الكئيب

ألهبت لسانها بالدعوات لهؤلاء البشر الذين يعانون لكنهم لا تدرى عنهم شيء ، ربما كان إحداهم يسكن خلف ذلك الجدار الذي حسر وراءه شمسا أخرى كانت تلهو يوما ، لكن الأم المرض قد أسكتت فيها الروح العطشى للحياة وتشبعت الخلايا بهذا الضيف الثقيل الذي لا تجد سوى أن تقابله بترحاب وصبر لان نفورك منه سيزيد غالبا من احتمال بقائه لفترة أطول

هناك آخرون يعانون ذهنيا ، عقلهم يعمل ضدهم وضد التيار الذي يسير فيه الباقون دون اكتراث

يؤنبهم حتى قبل أن يشرعوا في الإحساس بالافتقاد

افتقاد من يشاركهم تطلعاتهم في حياة مختلفة

بعضهم يظل على عهده والآخر لا ينجح في احتمال تلك الوحشة ويقبل أن يخفض سقف توقعاته والاكتفاء بشبه حياة

ربما كانت تلك الغيوم من اجلها هي ، ربما أراد الله أن يشاركها بشكل مرئي ويخبرها برسالة واضحة انه يعلم المعركة التي أسرعت في الدخول إليها دون تهيئة كافية لكن الأكيد أن القوة المعادية على

أهبة الاستعداد حتى إن جيشها الجرار قد احدث إعصارا ترابيا دفع السحاب إلى إخفاء جوهرة الشمس بعيدا عن أعين الجنود التي ستقضى على الأخضر واليابس

لم تتوقف منذ أن استقالت من عملها عن التفكير لتحديد ارض المعركة كما لم تتوقف عن الخروج ومسح طرقات المدينة علها تجد علامة ترشدها حتى وان كانت عفوية وبلا معنى..ستقوم هي بمهمة الترجمة والتنقيح لإضفاء معنى عليها

كانت تجول في ممرات إحدى المكتبات لا لتبحث عن ما يجلى صدأ العقل ولكن لتستمع إلى نقاشات من توزعوا من بائعين أو مشترين داخل المكان ،لكنها كانت تعلم انها وسيلة بلهاء لتجد ما تبحث عنه ،الالهام والكلمات المفتاحية ليست سلعة رخيصة قد تجدها بين احاديث الناس او كرسائل مهملة ملقاة على قارعة الطريق

أضف لذلك أن الكثير ينتظر إشارات مثلك ولذا ربما ما ستعتبره رسائل موجهة إليك هي ليست كذلك لأن تلهفك ببساطة دفعك لاعتبارها عنوة أنها مرسلة من أجلك

أو قد تفاجئ بعد فتحها أنها فارغة أو تمتلئ بما يعجز عن إلهامك بشكل كاف

لمحت أثناء الخروج على الباب الزجاجي للمكتبة إعلانا يدعو المترددين عليها لحضور حفل توقيع رواية جديدة لأحد الكتاب العرب، لم يلفت اهتمأمها الإعلان لكن اسم الكاتب.... (مؤيد

المنهالى) ، نفس الرجل الذي تابعته في ذلك البرنامج منذ يومين أو ثلاثة وهو الذي دفعها أيضا بحديثه المختلف إلى البحث عن مزيد من إنتاجه الفكري عبر صفحات شبكة الانترنت

صدفة خير من ألف ميعاد كما يقولون، سيتجسد الرجل غدا أمامها حيا إذا أرادت

كانت روايته الجديدة تحمل اسم (حياة مؤجلة) .. يبدو انه من أولئك المهوسيين بالبحث وراء مغزى الوجود ، سارت بعيناها لتصل إلى موعد الحفل لتجده في السابعة مساء

ميعاد مناسب ، ليس مبكرا حيث العقل مازال مترنح من سهاد ليلة سابقة وليس متأخرا حيث تتباطأ قدرته على التفاعل الفوري مع ما يرد إليه من مدخلات

لا تعلم لماذا شعرت أن هذا اللقاء سيكون إيذانا ببدء الفصل الأول من قصتها

ربما لن تتمكن من لقائه وجها لوجه وينسحب سريعا عند انتهاء الحفل متعللا بأعمال أخرى يريد انجازها أو قد يكون من هذا النوع الذي لا يهتم بالاستماع إلى آراء قرائه ويفضل أن يفرض رؤيته الخاصة لما يراه بها من نموذجية لن يجابهها أراء الحاضرين مهما ارتقى مستواها

أو ربما هو يتحرج من الدخول في أحاديث خاصة مع فتاة مثلها تريد بعضا من التوجيه الخارجي ، أسرتها أفاضت عليها بآراء غلبت

عليها العاطفة وأصدقائها لا يعطون بالا لما تهتم به من أمور تقييم الذات

كانت تحاول وضع كل الاحتمالات أمامها حتى لا تصاب بخيبة أمل تجاه ما سيحدث ، لكن الاحتمال الذي لم تصرح به رغم انه أكثر قربا من الحدوث هو انه سيكون ودودا وسيهتم بالوصول معها إلى خط فاصل بين المتشابهات ليزيل سوء الفهم لديها .. لكنها كانت تتوقع انه سيكون غريب الأطوار رغم تلك العقلانية البادية في حديثه

آرائه رغم منطقيتها تحمل قدرا هائل من الاختلاف في رصد الحقيقة ، تهتم بتلك الزاوية التي يغفلها معظم الكتاب ربما لعقليتهم النمطية أو لخشيتهم من بطش المجتمع الذي لا يرحم حتى أدبائه وعلى استعداد للتبرئ منهم عند أول مفترق طرق

وهذا بالضبط ما كانت تبغيه في الشخص الذي ستتخذه مرشدا وناصحا ، تريد إن يفاجئها بشذوذه عن القاعدة ونبشه داخل جوف عقلها الباطن الذي دائما ما تبقيه في حالة تعطيل دائم خوفا من أن يخرجها من ذلك القالب المسالم الذي وضعت نفسها فيه

تريد أن تستمد منه تلك الدفعة المصيرية التي ستغير من أسلوب حياتها إلى الأبد ، دائما ما كانت تؤجل ذلك الهتاف الذي يصدح بداخلها.. تبرر لنفسها أن الوقت غير مناسب أو أن الأولوية ليست للمغامرة الآن.. بل للانخراط لتصبح فردا مطيعا في النظام

كانت تحاول تخيل شكل المحادثة التي ستجرى بينهم وماذا سيكون رده وهل سيكون فعلا من النوع الذي يستوعب الأشخاص ويؤمن بأحلامهم قدر ما يؤمنون بها أم سيصدمها بعجرفة لم تستطع أن تتوقع أنها جزءا من طبيعته

الحقيقة أنها كانت تحاول تجنب هذا الاحتمال السمعنا ؟(هل تلك الرواية تدور حول حياتك الشخصية كما سمعنا ؟)

كان هناك حشدا كبير اغلبهم من حاملي ذلك الجهاز الذي يغشى الأبصار فجأة بضوء ساطع ليسجل لحظة ارتباك هنا أو ابتسامة هناك، تراصوا أمامها في صفوف متتابعة حتى نهاية القاعة لدرجة أنها لم تستطع تخمين رقما لعدد تلك الصفوف.. فقط لمحته هناك بشيبته المميزة ونظرة الثقة والسعادة التي ملأت عيناه عن أخرهما .. ثقة فيها وسعادة بها بالطبع .. جاورها في المجلس كاتب وكاتبة من أولئك المخضرمين في هذا العالم لكنها لم تشعر بضالتها أو إنها تلميذة لازالت في حاجة إلى البقاء في صومعتهم إلى حين اشتداد عود موهبتها الغضة ، كيف ذلك وهو يؤازرها ويملأها بنشوة إيمان بالذات لن تفلح محاولات هؤلاء الرهبان في تبديدها مهما حاولوا ! كان هذا هو المشهد الذي التقطته عيناها وكان ذلك السؤال أتيا من امرأة لم ترى منها سوى انعكاس الضوء على سطح نظارتها الطبية وغطاء رأس ابيض بدا بارزا وسط تلك القاعة ، شعرت أنها تخضع لاستجواب وان عليها الإنكار نظرا أنها لم تمتلك بعد شجاعة

الاعتراف بالإثم .. لقد كانت الرواية بالفعل تدور في اغلبها حول تفاصيل شخصيتها وسلوكها وعقليتها ذات التركيب العشوائي مما يعنى صدمة لكثير مما عرفوها بالفعل ولمن لم يعرفوها بعد حتى الآن

أدركت أن من يريد الإنكار هي شخصيتها القديمة أما الآن ، فهي تلك الكاتبة التي كسرت حواجز الخوف وتركت نفسها تسقط سقوطا حرا بلا اى وسائل للتخفيف من سرعة السقوط ودون اتخاذ اى احتياطات للحماية من الخسائر التي ستنجم عنه .. تلك العقلية المترددة هي خاصة بمن هم مازالوا في طور التذبذب مابين السقوط أو التشبث بالبقاء الآمن على الحافة في انتظار تلك الدفعة الصغيرة، دفعتها هي جاءت فور بدئها للعمل على روايتها الجديدة التي تنعم بأصدائها الآن.

لكنها أرادت إضفاء تشويقا لمن تعلقت عيناهم به كأنهم على استعداد للانقضاض على كيانها بأسئلة اعنف إذا صرحت بما سيأتي على هواهم

ولابد من الاعتراف أن هناك بقايا من حياء وتآلف مع الغموض قد جعلها تقول

(هي أشياء حدثت لفتاة لنقل أنني.... اعرفها جيدا)

ارتسمت على شفا البعض ابتسامة زهو بينما استمر الأخريين في التحديق بها وكأنهم لم يستوعبوا ما قالت بعد أو غير مقتنعين به

كإجابة

تردد في القاعة همهمات ثم صوت اصطدام الميكرفون بقبضة شخص فرات تلك المرأة تشرع في جذب الميكرفون نحو فمها مرة ثانية لتستوضح المزيد فبادرت قائلة لقطع الطريق أمامها وأمام الجميع

(لكنها فارقت الحياة على اى حال، ولذا لم يعد من الهام الإشارة إليها أو تسميتها)

وجدته يؤمىء لها برأسه وكأنه يبارك لها على هذا الرد .. كما يبارك لنفسه على هذا النتاج المشرف

كانت صادقة في إجابتها إلى أقصى حد، الفتاة التي كانت تتحدث عنها قد فارقت تلك الحياة بالفعل لتفسح المجال أمام أخرى أكثر انطلاقا وقدرة على الإمساك بزمام أمورها وكل ما كان يضعف من قواها حتى قاربت على النفاذ

(هل هناك نية لإصدار جزء ثان من هذا العمل خصوصا أن النهاية كانت مفتوحة إلى حد كبيرة وتنبئ بأحداث ممتدة)

تعلقت بها العيون مرة أخرى ولم يختلف أباها الروحي عنهم في شيء.. كان ينتظر الإجابة مثلهم وينظر لها بلهفة واضحة

(هي التجربة الأولى والأخيرة، لن أصبح عبده لأي شيء بعد الآن.. حتى وان كانت الكتابة)

كانت هناك خيوطا ساخرة متعلقة بآخر كلمة من عبارتها وكأنها

تريد التشويش على عقول الحاضرين بأضعاف مضاعفة لكن سرعان ما حلت الدهشة على ملامحها عندما وجدت كل الحاضرين وقد اختفوا فجأة من أمامها بينما كان هو يجلس بجوارها صامتا فنظرت له في تساؤل لتجد العبارات تخرج منه بطيئة وبصوت غلبه الحزن حتى هزمه

(هم لم ولن يعتادوا على هذا القدر من التحرر ، ولذا عليك استيعاب اختفائهم المفاجئ في اى وقت)

(أنا لا أريدهم، أنا أريد نفسي.. أتتراجع عن كل ما علمتني إياه بتلك السرعة ؟ !)

طالعها بينما كانت عيناه تتفحص ملامحها وكأنه يراها لأول مرة أو يحاول تقييم مدى التغيير الذي سيصيب تلك الملامح بعد قوله (أن أنفسنا متشابكة بأمر الله يا سارة ولذا فلا يمكننا الاختلاء أو الظفر بها من دون الأخريين)

نظرت له بانزعاج شديد ولم تستطع منع لسانها من صب جام ما تشعر به من غضب

(أنت مثلهم ، بل أسوأ .. تقنن أحلامك بخنوع لجني رضا البشر)

اختفى من أمامها فجأة مثلهم واختفت معه الأصوات والمكان بأضوائه الكثيفة ، لم يبقى سوى مشهد ضبابي رأته بإحدى عينيها نصف المغلقة لتكتشف أنها كانت تحلم ، حجرتها كانت غارقة في السكون مثلما كان الجميع غارقين في النوم ، حركت رأسها يمينا

ويسارا وكأنها تحاول طرد بقايا هذا العالم عن رأسها لئلا يعود ثانية ولتتأكد انه مجرد مخزون عشوائي أسقطها به عقلها الباطن بعد أن غلبها النوم بساعات

كان جسدها ينبض واجتاحته التشنجات الطفيفة في أنحاء متفرقة منه وكأنه انتهى لتوه من حسم معركة فاصلة بين الحلم والحقيقة، الحلم لم يشتمل على أذى جسدي لها لكنه تضمن على ما هو اشد.. على اذى نفسى،رغم ان عقلها وقتها لم يكن يعمل بكامل طاقته ولم يكن مدركا بشكل كامل للمنطقة التى يقف على اعتابها الان .. الا انها شعرت بجرح غائر فى روحها ..

الألم النفسي لا يمكن أن تشعر به إلا عندما يكون العقل في حالة الوعي الكامل ووصل إلى الدرجة القصوى من الاتصال مع القلب وليس عندما تكون في حالة رقاد وقلبك ينازع باستماتة للحصول على الهواء

فراغا داخليا استطاعت الشعور به وهى مازالت في وضع الجمود هذا بينما دارت مقلتا عيناها داخل الحدقتين بتثاقل وقبل ان يجذبها النوم الى اعماقه مرة اخرى ضرب القلق سهامه سريعا الى نفسها وكانه يريد ان يحجز مبكرا مقعدا من الدرجة الاولى على مسرح وعيها عندما تستيقظ فى الصباح

اللعنة على الأحلام إذا حملت في طياتها مرارة وألم الواقع.. أو إذا تنبأت لك بالأسوأ !

يجب على الأحلام أن تكون أكثر لطفا واستشعارا بما نريد ونتمنى لكننا نعجز عن تحقيقه، فتتكفل هي بإدخالنا إليه خلسة لدقائق أو حتى ثوان قليلة

الأحلام من المفترض أن تكون المسكن الخارق الذي لا تظهر أثاره إلا عند النوم، كمكافأة على ما عانيت طوال يومك

(لقد حلمت لها حلما .. أدعو لها أن يتحقق بإذن الله)

(خيرا أن شاء الله)

تناهى إلى مسامعها الحوار وهى تتأهب للخروج من غرفتها بعد

إن ارتدت بعض الملابس البسيطة التي تتناسب مع خططها لليوم ، طرفي الحوار كان والدتها وتلك السيدة التي مازالت تتكئ عليها لتحقيق الخلاص لهذا العالم

جارتهم كبيرة السن

لقد ضاق الحصار حتى وصل إلى حدود غرفتها الخاصة، إذن لا مجال للهرب

خرجت من غرفتها بخطوات سريعة في اتجاه مبرد الطعام لتحصل على بعض الماء المثلج بينما كان الحوار بين السيدتين يترنح في مستوى اثارته بين الصعود والهبوط .. وكأنهم يتداولون أمرا جللا سيتوقف عليه مستقبل الحياة على هذا الكوكب، وصل إلى مسامعها كلمات متناثرة أكدت لها ظنونها حول هذا الحلم

بعض الرموز والإيحاءات التقليدية التي تعيش بالفعل داخل عقول هرمة أذابت كل شر بها بفعل سلامة السريرة وصفاء النفس وكبر العمر أيضا

النساء في مثل عمرها لا تضرب عقولهم الأفكار المتداخلة ولا يتخم رأسهم بأسئلة غير منطقية ولا يتوقون إلى ما ليس في يديهم، لقد وصلوا إلى المنتهى بالفعل وتركوا تركة الحياة عديمة النفع لتصدم من هم اقل عمرا واشد عودا

ولذا ستجد أحلامهم جزءا من واقعهم الهادئ بطيء الإيقاع والمليء بالاشتياق لمن رحلوا

أحلام ملائكية إذا أردنا الدقة
(أننى أرى بها ما لا يراه أحدا ، ابنتك ستكون ذات شأن رفيع .. صدقيني)
(وفقها الله.. هي وكل من يرجو من الله توفيقا)
وجدتها فرصة ثمينة لتجاوز خط النار قبل أن يشتعل بالأحلام مجددا

***

بعد أن أنجزت خططها كان الليل قد غازل الشفق فاستجاب الثاني ليسكب ورائه دلوا من الألوان المثيرة والتي تدرجت من الأحمر القاني حتى البنفسجي الزاهي، لا ينتهي المشهد هكذا كل يوم.. في اغلب الأيام تنقض الظلمة على ما شرد من أضواء النهار دون تهاون أو استعطاف
ورد في ذهنها احتمالا آخرا ، ربما ما حدث هو عراكا جرى بين النهار والليل انتهى بضرورة إنفاذ أمر الله فعمد النهار إلى إحداث فوضى مقصودة ليعلن للناس انه رحل غاضبا بينما وقف الليل يبتسم بمكر كالطفل الذي أنصفه أباه وفاسحا المجال أمام أخاه المغضوب عليه وهو يحطم ويكسر ويدمر كل ما بقى أمامه فربما ذلك يجذب الأنظار أو على الأقل لإثبات حالة
قبل أن تدلف إلى المكتبة رأت رؤوسا كثيرة بارزة من بين المساند

الخشبية التي تتراص عليها الكتب المعروضة ، يمكنها أيضا أن تشعر أن حدة الإضاءة ارتفعت .. شعرت بالإحباط نوعا وكأن هؤلاء الناس ينتظرون اى فرصة للتجمع وانتهاك حرمة الأماكن التي يجب ألا تتسع سوى للكتب ليبقى الوجود البشرى فيها عند حده الأدنى

لكن تلك النزعة البربرية متمكنة منهم وتجدهم يسارعون لنهش خصوصية اى مكان ، لقد رأت من قبل فيلما يتحدث عن جزيرة منعزلة باهرة الجمال أخفتها الطبيعة عن همجية البشر وبعد أن اكتشفها احدهم ، لم ينتهي الأمر إلا بامتلائها عن أخرها فتحولت إلى مصيفا من الدرجة الثانية بعد أن كانت بقعة ساحرة لا تدركها الأبصار

أرادت أن تعود لمنزلها و أن تتجنب الانحشار وسط هذه الكتلة البشرية وما دعم هذا القرار لديها ذلك الحلم الذي افسد نوعا ما من تدفق طاقة المخاطرة لديها والرغبة في أن تسلك مسارا جديدا بحياتها.

شعرت فجأة أنها مجرد حزمة من الأوهام التي تتلاعب أحيانا بالعقل وتدفعه لبناء قصور رملية تتهاوى مع قدوم أول موجة من مياه بحر الواقع المالحة

كانت مجهدة نتيجة لبقائها خارج المنزل لمدة ما يقرب من الثماني ساعات حتى الآن دون أن تتناول شيئا إلا من بعض عبوات العصائر المحفوظة التي تكتفي بها على مدار ساعات النهار.

في أوج أفكارها وهى متصلبة أمام باب المكتبة وجدت انحسارا للوجود البشرى في أروقتها فشجعها ذلك على الدخول ، جالت بعينها داخل المكان لتجده فارغا ..حتى لم تلمح أحدا عند ماكينة الدفع لكنها رأت على أحد الحوائط الداخلية لافتة صغيرة ترشد الحاضرين لمكان عقد حفل التوقيع بالطابق الثاني وعندما اقتربت منها بدأ ت الأصوات تعاود من جديد آتية من أعلى

كانت أول مرة تنتبه لوجود طابق علوي للمكتبة ..ربما لأنه خاص فقط بالروايات والأعمال الأدبية الأجنبية وهى لم تكن من هواتها أخبرتها العديد من صديقاتها عن روايات مميزة عديدة أصدرها هذا وذاك ولكنها لم تقتنع، تشعر أن العالم الحقيقي هو هنا.. في الشرق ، قد يبدو في هذا الاعتقاد استعلاء غير مبرر أو انه مبنيا على حجج ضعيفة أو ربما نوعا من التعصب الأعمى لجذورك لكنها كانت تؤمن أن الغنى بكل أشكاله لن تجده إلا في تلك البقعة ، من يعيشون بالخارج لهم أولويات واهتمامات أخرى لا تستطيع تفهمها أو استيعابها .. مازالوا في طور محاولة فك شفرات هذا العالم والى اى كيان يعود امتلاكه ، دائما ما تشعر بتلك النغمة طاغية على جميع أعمالهم وهذا أصبح يصيبها بالملل

لكن الذروة تتحقق هنا، هناك تقيدهم اعتبارات الحضارة والتقدم لكن هنا لا يردعنا شيء عن الوصول إلى المنتهى

القبح له سحره ، ربما يفوق الجمال جاذبية .. يجعل كل شيئا حقيقيا

حتى الثمالة دون تلك النعرة الحضارية السخيفة ولذلك ستجد أن اغلب الروايات التي تحقق مبيعات هي التي تروى قصصا تنضح بآلام الواقع أو حتى الآم من وحى الخيال

الإنسان يريد أن يشعر بآلامه منعكسة في آهات الأخريين ، ما ينعشه وما يجعله يتحمس لما يقرأ هو الاعترافات التي يدلى بها الكاتب عن سطوة المشاعر وتسلطها عند إحدى شخصيات الرواية وهول ما يعانيه منها حتى وان كانت الرواية تهدف إلى إرساء معاني السلام مع النفس في النهاية

عنصر المعاناة يجب أن تشتمل عليه اى رواية ناجحة لان الرفاهة تخدر العقل فتتعطل قدرة اى شيء عن إثارته ، لتنهار محركات الشعور والتأثر والعمق ويحل بدلا منها السطحية والبرود والتعالي

ارتقت درجات السلم الخشبي ببطء ليصدر صوتا مميزا قد يعد مألوفا أكثر لقاطني المنازل القديمة التي كان الخشب يمثل جزءا أساسيا في بنائها ، كان الأمر شبيها بالدخول إلى منزل جدتها المعروش بخيرات الله ومحاط بالهواء النقي الآتي من الحقول الخضراء المترامية داخل تلك البلدة الصغيرة في دلتا النيل .. لم يكن يمثل لها منزلا بل قطعة منزهة عن إفساد البشر وفسادهم..وجاذبة لمن شملهم الله ببعض من نقائه وبصيرته

عندما وصلت إلى الدرجات الأخيرة وتمكنت عيناها من العلو فوق تجويف السلم ، لم ترى سوى قاعة اصغر من نظيرتها بالأسفل وتقود

إلى العديد من الغرف التي تراصت على الجانبين ، أعجبها بشدة الطراز المعماري للمكان والذي اشتق بكامله من الفن الاسلامي .. لم تكن تتوقع انه سيكون بهذا القدر من الجودة والإتقان رغم أن بعضا من نفحاته قد بدت بالطابق الأول ،لكن ملامحه هنا أكثر جرأة فى الاعلان عن نفسها فلم تخفيها رفف الكتب او الاعلانات الورقية لدور النشر المختلفة عن إصداراتها الجديدة

كانت ترى في كل خطوة تفاصيل أكثر تجعلها تقترب منها لتستوعب تلك الصدمة الفنية بكل إبعادها ثم تطلق زفيرا طويلا هادئا وكأن أصابها الضيق من هذا القدر المبالغ فيه من الإبداع

السقف كان يتوسطه تلك الحاملات الخشبية المحفور على أوجهها كتابات عربية متداخلة و يرتكز بداخله مصباحا كهربائيا يعكس للخارج النقوش التي غلفت جوانب الحامل الأربع ، هذا الاستهلاك المكثف لحاسة البصر جعل انفها ينتبه متأخرا لهذا العطر الشرقي النفاذ الذي كان يجوب أرجاء المكان بدلال .. كل ما حولها جعلها تعترف بعشقها ولأول مرة لأصلها العربي

مجرد نقوش على الحائط وبخور شرقية دفعتها فجأة للاعتزاز بهويتها ، آمنت أن تلك الثقافة من السهل أن تأسر القلوب والأسماع والأبصار بأقل القليل منها ولو سادت يوما فسيكون من الشاق اقتلاعها

استطاعت إيجاد السبيل إلى مقر الحفل عندما وجدت احد الغرف

هي الأكثر إصدارا للأصوات مقارنة بالباقيين ، العدد كان قليل بالداخل إلى حد ما فظنت أن البعض قد فضل الانضمام لأمسيات أخرى تجرى داخل الأروقة التي احتوتها المكتبة ، انخفضت وتيرة التوتر لديها إلى اقل درجة ليجد الهدوء طريقه مجددا إلى نفسها بسلاسة

لمحته أثناء جلوسها وهو يتبادل الحديث مع امرأة بدا من مظهرها أنها المسؤولة عن تنظيم الحدث وتتولى منصبا موازى لذلك الدور بإدارة المكتبة

كانت الابتسامة لا تفارق وجهه مما جعلها تطالعه بنظرة لوم عما أحدثه وجوده داخل أحلأمها بالأمس من بصمات ظلت طوال اليوم تصارع لمحوها، لكن صراعا من نوع آخر كان على وشك أن يبدأ

(لقد تغيرت كثيرا ...)

كان شاردا عندما هدمت تلك العبارة الجدار الفاصل الذي شرع في بنائه حوله مؤخرا ليبقيه بعيدا عن ترهات حياته لكنه سرعان ما ينهار بسبب امتلائها عن آخرها بالترهات .. كلما وجد منطقة خالية تصلح لأن يعسكر بها ويريح ذهنه من الترحال الدائم بين خيم أفكاره وظنونه التي لا تهدأ ، كلما فوجئ بيد تسحبه مرة ثانية إلى عالمه الاصلي

ذلك العالم الخالي من المعاناة ..البراق ، الذي تنعدم فيه الحاجة للنظر إلى ما ابعد مما تقف

عالما يشل قدرات عقلك ويفتك بأي رغبة في التمرد.. لأن كل شيء متاح وبالقدر الذي تحدده أنت

ولذا تنتفى قيمة البحث ، أصبحت إستراتيجية الارتخاء هي أسلوب حياة وليس عارضا طارئا يزيل بزوال المرض

لكنه شعر فجأة بأنه يعانى من المرض بل وانه وصل فيه إلى ابعد مستوى من التدهور فكان لابد من تدخلا جراحيا عاجلا

(كنت أظن اننى قد عدت لطبيعتى بعد فترة طويلة من الخروج عنها)

قالها برنة تحمل حزنا واسى شديدين موجها حديثه إلى ذلك الشاب الجالس امامه يطالعه بعدم اكتراث على عكس مابدا من عبارته الاولى من علامات الاهتمام .. وجده يعبث بهاتفه النقال وشعر

لثوان انه حتى لم يكن يحدثه بل ربما كان قد تفوه بعبارة أخرى حولها عقله المضطرب إلى ما كان يأمل أن يسمعه من اى شخص حوله

كان يريد أن يشاركه أحدا في تلك العمليات التي تدور بداخله فقط ، حتى وان لم يكن أهلا للانخراط في تلك المنطقة شديدة الخصوصية منه .. ربما كان يريد دعما أو توضيحا أو حتى هجوما اى شيء يحدث حراك من اى نوع ... بدلا من هذا الصمت المطبق الذي سيدفعه إلى حافة الجنون عما قريب

قرر إشعال الموقف

(أجئت للتحدث معي أم لإظهار حجم عدم اهتمامك سوى بهاتفك هذا ؟)

نظر له صديقه في صمت ولا مبالاة ثم عاد إلى استكمال ما يفعل بآلية

شعر انه ليس في مقدوره أن يوقظ روحه بوجود تلك السلالة الفريدة من الموتى الإحياء والذي ينتمي إلى نوعيتهم صديقه

غادر مجلسه سريعا وتوجه إلى سيارته ثم ارتمى على مقعد القيادة وتحرك بها على غير هدى

كان يشعر يوما بعد يوما انه يذبل أو أن روحه تنسحب تدريجيا دون أن يعلم كيف ينقذ نفسه من كل هذا ، أحيانا كان يرى أن تلك المعاناة ضرورية لتطهير ما علق به من شوائب العالم الزائف

الذي كان يظن انه قد وجد ضالته فيه
أصعب مرحلة هي تلك الخطوة الأولى لأنها ستحدد أهليتك ودرجة صلابتك لإتمام ما تنتويه، الأمر يصبح أكثر سهولة في الاجتياز فقط إذا أصابك التوفيق في إخماد وحوش التردد والكسل والشكوك التي كثيرا ما ستحاصرك في البداية
لكنه بعد عدة أيام يمكنه أن يعترف بصعوبة العملية بأكملها، يشعر انه كفيفا يحاول جمع فتات لوح زجاجي مكسور دون أن يدمى أنامله على انه يعيده لحالته الأولى كما هي
عملية شديدة الدقة وتحتاج إلى مستوى غير عادى من الثبات الانفعالي والذهني بينما هو يشعر أن عقله قد شاخ قبل الأوان ونفسه ضاقت بالفعل عندما أدرك عمق التدمير الذي ألحقه بحياته ما يؤلمه أكثر أن لا احد يستوعب ما يمر به بل على العكس ،الكل يقلل من قدر أوجاعه النفسية ويراها مؤشرا على الوصول إلى الحد الأقصى من الرفاهة مما جعله يئن تحت وطأتها رغم انه في الحقيقة كان يقوم بعملية عكسية حيث كان يحاول الوصول للقاع حيث بداية كل شيء وحيث الثوابت حتى يستطيع هدم كل ما علا ذلك من بناء شرع في إتمامه دون الحصول على تصريح أخلاقي مسبق فتحول البناء إلى عبء لم تستطع النفس القبول بوجوده كأمر واقع بدأ يشعر بهذا الثقل عندما ظهرت هي بحياته ، وجدها خفيفة على وشك أن تفلتها الجاذبية لتعود إلى عالمها الأصلي الحقيقي

وتترك الجميع هنا يترنحون في ضباب الماديات على غير هدى ، يصرفون ما امتلكوا ظنا أن ما بعد الانقشاع سيجدوا مقابلا يستحق ما خاطروا به لكنهم يفاجئون أن الضباب قد أطبق على صدورهم ولا مجال لانقشاعه بعدما فرغت النفوس مما تحمل ولم يبقى سواه على مد البصر

حاول مرارا الوصول إليها ،ليس لإقناعه بالعودة إلى مجاله الجوى كي تعيد التوازن المفقود له بل لكي تحدث له صدمة كهربائية كالتي يجرونها كحل أخير أمام عجز الجسد عن إنقاذ نفسه بنفسه ، الثورة الخامدة التي رآها بعينيها جعله ينهار سريعا ويرى أن كل ما حققه ليس بالقوة التي تحميه من ذهنها النافذ هذا .. لكنها قطعت كل صلة لها بالمحطة ولم يشفع أهمية مركزه في استمالة اى من أصدقائها والذين يعملون تحت إمرته لإبلاغه بكيفية الوصول إليها أو ربما هم لا يعلمون بالفعل، لا بد أن رفقائها ليسوا كثيرين وليسوا من هذا العالم بل الأكيد أنهم لا يتعدون أصابع اليد الواحدة وينتمون لنفس سلالتها النقية.. كم يشعر بعدم قيمة كيانه أمام صدق كيانها الصارخ ؟!

فجأة.سيارته فجأة بعد شعوره أن تلك الأفكار ستقتلعه اقتلاعا من عقله لتلقيه في غيابات اللاعقل !

فجأة .. لمحها من بعيد، كانت تقف أمام إحدى المكتبات في هذا الشارع المتلألئ بالأضواء على ضفتيه بينما بدا عليها انهماك عقلها

في التواصل مع أثير خارج اللحظة والمكان
ربما كانت تستشير روحها التي مازالت قادرة على الاستماع إليها ولم يحدث بين الطرفين فتور مثل حالته.. وخزته مشاعر الغيرة من تلك الفتاة التي مازلت تجل وتحترم حواسها بهذا القدر وتسمح لهم بالتفاعل مع كل قرار لها دون تقييد أو استبعاد لهم
كان يظن قبلا أن من يحكم العقل فقط هو القادر على الصمود في تلك الحياة لكنها علمته درسا جديدا، أن العقل وحده غير كافي لإثبات حضورك
هناك طاقة هائلة من الإشعاعات النفسية والحسية افتقدها مجبرا ورضخ بالقبول بتحريك عقله فقط داخل الدائرة الآمنة، لتضيع منه لذة إطلاق باقي قدراته، راقبها من مكانه ثم تركه عندما وجدها تمد يدها لجذب الباب المغلق تمهيدا لدخولها
كان يتوقع الأسوأ كنتيجة للصورة الذهنية التي انطبعت بذاكرتها عنه.. هذا الشخص السطحي المعنى فقط بالمال ولا يقيم وزنا لغيره من الأمور، هو واثقا أن هذه صورته لديها رغم يقينه أنها ليست ممن يستسهلون في إطلاق الأحكام على البشر من خلال مظهرهم الخارجي
لكنه للأسف لم يعطها مجالا للرجوع عن الانطباع الأول ، لقد انتهج معها أسوأ تكنيك ممكن لكسبها ، كان لا بد أن يكون أكثر حرصا وحذرا مع إنسانة شفافة مثلها

وللأسف لم يكتشف أنها بذلك التميز سوى متأخرا بعد أن انفلت لجام قدرته للسيطرة على مجرى نهر علاقتهما

انتظر قليلا بالخارج لا يعلم كيف يتصرف كما انه لم يرد أن يفاجئها بوجوده دون مقدمات ليبدو الأمر وكأنه كان يترصدها ، وجدها تغيب عن نظره باتجاه الطابق الثاني ففتح الباب وتبعها وفى كل تلك الفترة لم يكن يعلم الهدف من هذا التتبع

هل سيكتفي بمراقبتها فقط ثم يرحل بعد أن التمس بعض من قوتها لتغذى ذاته شبه المنهارة ، أم هل سيصطدم بها متصنعا الصدفة ليحظى ببعض من حديثها القصير الذي دائما ما يستولى على عقله ويفقده القدرة على مقارعتها لعلمه أنها أبصر منه برؤيتها التي لم يطمسها اعتلال الضمائر الذي طغى بوجوده على هذا الزمان

قرر وهو يصعد خلفها السلم الداخلي للمكتبة انه سيصمت ولن يلفت انتباهها بوجوده وسيترك القدر يتحكم في مسار الأحداث كيفما يشاء .. تلكأ في خطواته عندما رآها تتأمل في التصميم الخاص بالمكان وحركه شدة إحساسها بتلك التفاصيل الصغيرة فكانت تمد أناملها لتمسح تضاريس النقوش والرسومات التي أغدقت الأرجاء وبعد أن غابت عن عيناه سار ورائها ثم بقى في مكانه للحظات ليراها وهى تستقر على احد مقاعد القاعة ثم اتخذ مسارا طويلا ليجلس على الجهة الأخرى منها حتى لا تراه

(بداية نود أن نشكر حضوركم لحفل توقيع الرواية الجديدة

للأديب العربي الكبير مؤيد المنهالى (حياة مؤجلة) مثلما نريد أن نهنئه بحصول روايته مؤخرا على جائزة أفضل عمل اجنبى بالمسابقة الدولية للرواية والتي تقام سنويا بفرنسا)

بدا على الرجل بعض الضجر من هذا الأسلوب الرخيص في الترويج لشخصه ولأعماله بينما تحول ضجره إلى حرج عندما اكتفى القليل بالتصفيق وكأن الحديث لم يلقى اى اهتمام من الحاضرين

كانت سارة مثبتة نظراتها عليه وكأنها تحاول أن تستشف خبايا هذا الكاتب الذي لا ينفك أن يظهر لها من كل حدب وصوب حتى بدأت تستشعر انه قدرها المحتوم الذي لا مناص من لقائه

أما طارق فكان مثبت نظره بدوره عليها.. فقط ليعضد نفسه مما تعانيه هذه الأيام من ويلات التحول والعودة إلى ما كانت عليه قبل أن تلفحه أعاصير الطموح القاسية وما جرته خلفها من تنازلات مقابل كل منصب جديد

القدر لم يجمع فقط ثلاث أشخاص في مفترق طرق بحياتهم بل سيلعب لعبته في تحديد إذا ما سيصبح اى منهم جزءا من حياة الآخر أم سيتوقف الأمر عند حد تواجدهم في نفس اللحظة ونفس المكان ثم تتفرق بهم الحياة بعدها ؟

يمكننا أن نتخيل القدر ممدا على مقعده الوثير الآن وماسكا بعصا الاوركيستيرا ليوجه الجميع الذين لن يستطيعوا سوى الإذعان خاصة في ظل عدم رغبة اى فرد من عازفي السيمفونية في الرفض

أو محاولة تغيير اللحن لان كل فرد منهم كان قد استهلك كل قواه بالفعل في التحكم بحياته ولذا كانوا ولو بشكل خفي مستمتعين بهذا النوع من فقدان السيطرة على الأمور .. لن يخسروا كثيرا على اى حال

(الدكتور مؤيد لن يمدنا بمعلومات عن خلفية الرواية أو مزيد من التفاصيل عن أحداثها.. سيتقيد فقط بالمحاور التي تريدون أن تكون مجال الحديث سواء تعلقت بالرواية أو بشخصه هو .. من يريد البدء فليتفضل برفع يده وإلقاء سؤاله أو تعليقه)

بهت البعض من هذا الانقلاب على أعراف حفلات توقيع الروايات لكنهم سرعان ما رفعوا أيديهم واحدا تلو الآخر وكأنهم وجدوا في هذا الخروج عن المألوف متنفس وفرصة لدفع هذا الكاتب للإفصاح عن كل شيء وحرمانه من اى مخرج للالتفاف على اى سؤال مهما بدا محرجا أو قاسيا ، وجدت أن القدر انحاز إليها دون لمحة تردد أو شفقة تجاه الجانب الآخر فقررت استغلال هذا الانحياز إلى أقصاه لكنها رغبت في طهي سؤالها على نار هادئة حتى ينطلق من فمها كاملا بلا شائبة ولا يعطى فرصه له لانتقاد فحواه أو التقليل من أهميته

(هل تستمد ثقتك في موهبتك ككاتب من المستوى الفني لأعمالك أم من حجم ما يجنى العمل من أموال ؟)

ارتبكت الأجواء قليلا رغم أن الكل كان يدرك أن القذائف ستكون

مباحة ومتوقعة بعدما فتح العدو مجاله عن رضا ، ما أدهشها هو أن الرجل على عكس التوقعات بدا على ملامحه شيئا من الحزن وانعكس ذلك على نبرات صوته التي خرجت عميقة هادئة وكأنها تقاتل لكبح اى مشاعر أخرى للطفو على السطح

(الثقة هي عملية متكاملة تبدأ من يقينك بالمستوى الرفيع لما تسطره بقلمك مرورا بتقبل الجمهور لذلك الجهد وترجمة ذلك في شكل عائد مادي.. اختفاء اى من تلك العناصر يعنى فشل الثقة في إتمام دورتها وبالتالي تختفي لتتصدر بدلا منها ثقة زائفة أو مهتزة أو ربما غرور ورغبة في إعماء العيون عن الحقيقة ، كلها مسكنات يضلل بها عقلك نفسه عن بلوغ الحقيقة وكلما أطال وأمعن في هذا التضليل كلما كانت العودة إلى صوابك عملية أكثر تعقيدا فضلا عما سيتساقط طوال تلك المدة من قيم ومعاني ستؤثر على إنتاجك الأدبي بلا شك وتجعله أكثر انسلاخا عن الروح البشرية حتى يبدأ في التعبير عن ارواح مريضة ونماذج حياتية منفرة لن يتقبلها الناس)

صمت الجميع وكأنهم مازالوا يبحرون في أمواج تفسيره الثرى بحثا عن نقطة غفل عنها أو معنى استعصت عقولهم عن فهمه لكن في المجمل كان الجميع مستمتعا بحجم الصدق الذي التمسوه في حديث الرجل ما جعلهم يحولوا موقفهم من الهجوم إلى التضامن في سبيل الحصول على رؤى متميزة صادقة كالتي شرع حديثه بها كان عقلها قد بدأ في الخروج عن طوعها والتوجه نحو بحيرة هادئة

لالتقاط أنفاسه بعد فترة طويلة من تجييش قدراته وحشدها ليكون متأهبا للغزو في اى وقت .. صوته القوى الذي اضعف الحق القائم فيه من نبراته جعل عقلها يطلق سراح نفسه مطمئنا إياها أن هذا الرجل لا يستحق سوى إن يكون صديقا يعدل من مسارك في أوقات حياتك العصيبة وليس أن تخسره في أول لقاء ، أما طارق فكان لا يتوقف عن التطلع بها كلما استطاع حتى لا يثير الأنظار ولم يستطع عقله أن يسعفه بأي سؤال لتوجيهه إلى هذا الكاتب وخاصة أن لم يكن يريد جذب أنظارها إليه في تلك اللحظة .. اكتشف انه فقط يريد أن يثبت لنفسه أن هناك إنسان نجح في إبقاء نفسه سليما معافى روحا وعقلا حتى يخفض من حدة هذه الشكوك التي تنهشه ليل نهار متهكمة على ما يطمح في الوصول إليه من وراء هذا التهجير القصرى من عالمه إلى عالم أخر بلا معالم واضحة

(الآنسة في الخلف .. تفضلي)

جاءتها العبارة لتقطع تدفق أفكارها ولتفاجئها خاصة أنها لم تكن ترفع يديها بل كانت تحاول معرفة الوقت من جهاز هاتفها النقال مما جعلها ترفعه قليلا حتى تتمكن من اختراق الظلام الطفيف الذي سيطر على موقعها المتأخر في الصفوف التي ضمتها تلك القاعة الصغيرة .. أصابها بعض الغضب فهي لم تتمكن بعد من صياغة سؤالها ولا تستطيع أن تعتذر بتوضيح سبب سوء الفهم الذي حدث ، أدارات عينيها في الحضور وهى تحاول جمع شتات نفسها لتلمحه

من بعيد ينظر إليها بنفس النظرة الخاوية التي مازالت لا تجد لها سببا .. لا شك أن وجوده بل واكتشافها لذلك الوجود في تلك اللحظة جعل عقلها اقل قدرة على استبعاد هذا الكم من التشويش والتركيز فقط للخروج بسؤال متماسك في بنائه على الأقل ولا يجعلها مثار سخرية الحاضرين.. الحاضرين الذين اشتملوا على أكثر شخصين يثيران توترها في تلك الفترة من حياتها.. يبدو أن القدر عاد إدراجه سريعا إلى الجانب الآخر

(ألا تعتقد أن مفهوم الحياة المؤجلة هو مجرد مواساة لأولئك الفاشلين في حياتهم الذين وجدوا فيه ملاذا لعزل أنفسهم عن واقعهم المحبط فشرعوا في خلق وهم الحياة المؤجلة التي تنتظرهم في زمان أخر ومكان أخر حتى لا يعترفوا إن ما يعيشوه هو ما يستحقونه فقط ولا يوجد بديل له سيكشف عن نفسه لاحقا ؟)

انطلقت منها العبارات متلاحقة سريعة حادة النبرات بصوت قوى لم تعتاده في نفسها لكنها عند الانتهاء شعرت براحة كبيرة لا تعلم أن كان ناتجا عن نجاحها في إلقاء ما سيجذب الأنظار إليها أم بسبب انه جاء انعكاسا لحقيقة هي جزءا مما تعانيه الآن .. استطاعت أن ترى في عيون مؤيد وطارق نوعا من الاستياء.. أكان استياء المواجهة بالحقيقة أم لتعنتها في تفجير الأوضاع كعادتها ؟

(كلامك صحيح ..لكن من قال أن من يعيشون حياة الترف والنجاح لا يتوقون إلى حياة أخرى ربما اقل ترفا وليست بهذا النجاح لكنها

تحمل معنى ما يفتقدونه)

نظرت له في شك وعقلها يحاول الإسراع للبحث عن رد مناسب لكن عيناها اصطدمت بطارق الذي بدا ضائعا وتائها، كانت أول مرة تستوعب هذا الشحوب على وجهه ومظهره غير المهندم نوعا وتلك النظرة المفعمة بالحزن المشوب بالقلق بعيناه .. شعرت أنها تدخل عقلها في صراع على جبهتين لن ينجح في الانتصار بإحداها لكن مؤيد بادر قائلا

(الحياة المؤجلة ليست وهما يقنع البعض به نفسهم لمحاربة قبح واقعهم وعدم قدرتهم على ملأه بما كانوا يطمحون من انجازات .. الحياة المؤجلة قد تكون وجودك هنا لتتشاركى بعضا من أفكارك النيرة معنا أو بوجودي أنا معكم لمواجهة نفسي بما لم أرد التعامل معه قبلا .. قد تكون لحظة أو سلوك بسيط لكنه يمثل جزءا من حياة كاملة مليئة بتفاصيل أخرى أكثر قدرة على فك قيودك ودفعك للعيش بالطريقة التي تتمناها دون ضغوط أو قبول بأنصاف الحلول)

صمت الجميع بينما استمرت هي في تأمله ثم وجدته يقول

(أنا بالطبع لا أعمم هنا أن تلك الحياة المؤجلة هي الخالية من المصالح والأحقاد والتي تتواجد فقط في أحلام من يريدون الارتقاء في سلم الإنسانية وتطهير الذات ، فهناك الكثيرين تتمثل الحياة الحلم له متنعما بالثراء بما لا يتطلب منهم جهدا ليجنوا ما يريدون

ومن ثم فهم لا يدركون ما نحن بصدده هنا .. البشر في النهاية يختلفون في محركاتهم ودوافعهم ..لعسارة.قين معي في هذا يا آنسة..)

(سارة .. اسمي سارة)

أومأ لها برأسه وهو ينظر لها بهدوء ووشت عيناه بنوعا من الحنان الأبوي تقلص له عضلات وجهها فعدل سريعا واستبدله بنظرة مبتسمة

قطعت تلك السيدة التي تدير الحديث استرسال الأفكار لدى الجميع عندما قالت

(يمكننا اخذ سؤال أخير إذا تفضلتم فالدكتور مؤيد مرتبط بحفل أخر بعد ساعة من الآن)

لاتعلم لماذا اردات ان تغادر المكان وتركض حتى منزلها وتنزلق تحت اغطيتها وتغلق عيناها إلى الابد حتى يوقظها اجراس نهاية العالم ، أو ربما تقضى الليل تتلكع وسط الطرقات وتفعل كل ما منعت نفسها عن فعله .. ستقذف بالحجارة على المارة أو تصفع احدى النساء الثرثارات أو ترتكز على سطح احدى البنايات وتقنص احد الصبية الذين هتكوا حيائها بينما هي تلملم اطرافها وتجد في مشيتها اتقاء لشرهم الفاجر رغم نحول اجسادهم وصغر اعمارهم كانت على يقين أن تلك هي أعراض انتشال النفس من مسار خاطئ نمطي إلى آخر سليم أكثر إشباعا لحواسك وقدرة على ترميم

أبنية الثقة المتهدمة بداخلك على مدار سنوات .. سنوات من تأجيل اللحظات الحاسمة على أمل حسمها في وقت لاحق عندما تنتفى الضغوط لتحصل على اكبر قدر ممكن من تدمير النفس حتى تصبح عملية الترميم هي الخطوة التي لا مفر منها ، لكن رغم إدراكها لذلك كانت في احتياج شديد إلى التشبث بتلك الأرضية التي نوت المجاهدة في سبيل اقتلاع نفسها منها بلا عودة ،فالمجهول حتى وان كان يحمل بين طياته ماسات ثمينة من الفرص إلا انه يظل مخيفا يقشعر بدنك كلما رأيته مقتربا منك .. هو لا يسمح لك بالاقتراب لأنه يعلم انك لن تأخذ ذلك القرار وان تم إعطائك الدهر كله ولذا تجد نفسك تغوص في أعماقه ولا تستوعب الأمر إلا عندما تستشعر الظلام الدامس والبرودة من حولك

في تلك اللحظة كان احدهم يلقى السؤال على الرجل، كان طارق المرتبك وليس طارق المهدي الذي كان القشة التي قسمت ظهر عالمها فانهار بلا أدنى مقاومة .. لكنها لم تدرك وقتها أنها حققت انجازا مماثلا على مستوى عالمه هو

ربما كان ذلك ما جعلها تنفر منه ومن مؤيد على حد سواء ، استشعرت بحاستها الحادة أنهم يعانون من أمر ما لكن بصورة مختلفة أو لسبب مختلف وهى كانت تريد أن تحيط نفسها بكل ما يعين على المضي قدما وليس الالتفات إلى الوراء .. ولذا قررت المغادرة

قبل أن تنجو بنفسها من هذا اللقاء الذي زاد انقسام أفكارها وجدته يلفظ باسمها بصوت تقطعت نبراته من دوامات العقل فسلب منه نبرته المميزة غير أسف ، تسمرت في مكانها والذاكرة تسترجع موقفا مماثلا حدث فقط منذ ثلاثة أسابيع لم تكن تعلم انه سيعاد على نفس الشاكلة .. كانت قدماها على حافة السلم استعداد للهبوط إلى الدور الأول من البناية التي تحتلها المكتبة .. التفتت إليه ببطء بعد أن سرقت اى تعبير من على ملامحها قد يكشف أو يشير لما كان يدور في باطنها

عيناه كانتا مركزتان عليها في صمت وكأن أراد إبلاغها بما يريد عبرهم، لا كلمات قد تفلح في تلك المواقف

(..... أنت من عشاق المغادرة عند ذروة الأحداث، أليس كذلك ؟)

نظرت له دون رد وهى تحاول إسكات اى فكرة قد يدفعها العقل باتجاه فمها ، لكن العين دققت في ملامحه كثيرا فمن المستحيل أن تحجب فضول العين عن التمعن في هذه الصورة المجسدة لمعنى الانفصال عن الحياة .. كل خلية في وجهه كانت باهتة ساكنة غائبة عن أداء دورها المعتاد..حتى عيناه تشعر أنها انفصمت عنه فلا تستطيع سبرا أغوار نفسه من خلالهما.. ما الذي أصابه يا ترى ؟!

(عدم المغادرة في الوقت الصحيح هو السبب الرئيس لأ ى ندم قد يشعر به المرء في حياته ، ولذا أنصحك بتبني هذا القرار كلما أمكن .. على سبيل المثال، ماذا عن الآن ؟)

تسرب بعض الغضب في صوتها عندما ألقت هذا السؤال بينما سيطرت على عيناها نظرات عابثة دائما ما تقترن بإفصاحها عن غضبها

لمحت في محياه ابتسامة حيث انكمشت زوايا وجهه ببطء وأعقبها بمرارة برزت من نظراته ووجدته يقول

(سأرحل بالطبع إذا كانت تلك هي رغبتك ، لكنني أردت فقط أن اتأكد اننى كنت صائبا في قرارى)

ظنت انه يريد جرها إلى احاديث جانبية لاستهلاك الوقت ولفتح مجال للحوار معها ولذا كانت مشوشة للغاية ومازاد من ذلك تلك الاصوات التي طغت تدريجيا عن الهدوء السائد بين جنبات المكان حيث بدأ الحضور في الخروج من القاعات المجاورة لانتهاء فعاليات حفلات التوقيع بها .. في غمرة تلك التدفقات الصوتية رأته يتهيأ لترك موقعه أمامها ليتجاوزها نحو السلم ..

نفسالنهاية... مازال هو المتحكم في ردود افعالها رغم انه كان من الضعف حيث لم يكن قادرا على التحكم في جسده فكان يتكىء على حوائط المكان ليستعيد توازنه ويتمكن من السير باستقامة لئلا يستدعى اشفاق احدهم حتى يلقاها في المرة القادمة ، أدركت أن من غاصوا بعمق داخل الحياة ولو حتى في المسار الخاطى غالبا ما يجدون رصيدا قويا من الخبرات للاستناد عليه عندما يقررون قلب حياتهم راسا على عقب .. الضعف لا مكان له عندهم حتى في

اللحظات التي يتركون فيها ارثهم المادى ووضعهم الاجتماعى وكل ماجنوه وراء ظهورهم .. وهذاماينقصها
تشعر انها ليست بالقوة الكافية لتنتقل إلى مستوى مختلف في هذا العالم ، القوة الرابضة بداخلها هي قوة عشوائية غير متمرسة ولذا فمن السهل ان تفقدها عند اى موضع اختبار حقيقى
اذن فهى تحتاج لوجوده معها في تلك الفترة من حياتها على عكس ما كانت تظن ، يبدو ان رواسب تفكيرها النمطى مازالت تغشى بصيرتها عن رؤية الامور بمنظور جديد
الأمر سيستغرق وقتا .. أطول .

لا تعلم لماذا تجمعت الدموع في مقلتيها بعدما نزعت تلك الضمادة البلاستيكية التي اخفت بها جرح معصمها ، كانت من الهشاشة بحيث لم تتمكن من استيعاب هذا الكم من الدماء التي استكملت النزف متعانقة مع ماء الصنبور البارد الذي ادارته إلى اقصاه حتى يطغى صوت تدفق المياة الشديد على اى آلام قد تنفلت من بين شفتيها لازالت من لقاءالامس
كان هناك الما عنيفا يعربد في اعماقها ورغم تنبؤها بقدومه إلا انها لم تكن تتوقع ان يستنزف طاقتها إلى هذا الحد وبشكل مكثف وفجائى .. لكننهايةالأمسيةكانتمختلفة
لقد فوجئتعقبمغادرةطارقلها بمؤيد يستند على أحد الأرفف و

يرمقها من بعيد ، ادهشها موقفه وادهشها اكتر اقترابه منها وما ألقاه على مسامعها بعدها ..

(يبدو اننا جميعا نعانى من نفس الأمر)

(أى أمر ؟!)

(لا أدرى تحديدا .. لكننى استطيع الشعور بوجوده في هذه اللحظة يستهدفنا برعونة صبى يقود سيارة للمرة الاولى في طريق خال إلا من افكاره الطائشة)

(..... هل لى ان اطرح عليك سؤالا ؟) قالتها سارة وهى توجه نظرات حادة له

(لقد عرضت نفسى لنفس التجربة منذ قليل ولن اسمح بحدوث هذا مرة الاخرى)

نطق العبارة بهدوء ولم تستطع تحديد ان كانت روحه الساخرة المنبعثة من عمق خبرته ورزانة عقله كانت هي المعنية بما قال ام انه ضاق بالفعل مما حدث في ذلك الحفل ، لكنه لم يدعها تفكر طويلا وقال

(دعينى اتولى انا هذا الدور لبعض الوقت .. ايمكننى ان أسألك عن سبب هذا التبدل الحاد في المواقف)

ثم اشار بالسبابة في الاتجاه الذي سلكه طارق بينما قام بتحريك رأسه بشكل نصف دائرى ليكمل تفسير ما كمن في سؤاله

(انه أمر يتعلق ب... اعتقد انه لا يستحق الذكر)

(لأننى غريب عنكى ؟)
نظرت في عيناه لتجدهما صادقتان مليئتان بفضول مشوب باحترام مسبق وتفهم لأى اجابة سيتلقاها
(لأننى اغرب)
نطقتها بعفوية من لم تعتد على تجميل الحقائق ومن تتوق لمواجهة نفسها حتى وان كان أمام شخص التقته منذ ساعات فقط
استوعب طباعها في ثوان ، علم إلى اى نوعية تنتمى تلك الفتاة ولذا استرخى جسده اكثر وهو مازال في وضعية الوقوف ثم اخذ نفسا عميقا كمن على وشك الدخول إلى حلبة صراع ذهنى لا مجال للنجاة فيها امام انسانة لا تملك من حطام الدنيا سوى النقاء واحترأمها الصارم لذاتها .. معركة شديدة الدقة وخاسرة لضيقى الصدور وقصيرى النفس
(أنا اريد ان اكون جزءا من هذا)
(.. .....)
(اننى أمر بظروف معقدة وطارئة في الوقت الحالى واريد ان اتجاوزها عبر دمج نفسى في ظروف شخص آخر)
(ومن قال اننى سأسمح بذلك)
(أعتذر ان كنت طرحت الأمر بشكل اقتحامى لا يراعى حدود خصوصيتك الشخصية ، لكننى لم افترض شيئا .. فقط اتمنى ان أقدم يد المساعدة لأحدهم .. سيكون في ذلك سبيلا لمساعدة نفسى)

طغى بعض الخفوت على نبرات صوته في الجزء الاخير من حديثه ، نظرت له طويلا وامتلأت بمشاعر متناقضة عصفت بها ، انها قد اصبحت في حال لا يرثى لها لتجعل الغرباء يعرضون عليها جلسات علاجية مجانية وفى نفس الوقت وجدت فيها مجالا لشق مسارا جديدا في حياتها بمساعدة شخص متمرس في فهم تعرجات النفس البشرية وخباياها ولن يزعجها كلما اكتشف شيئا قد اخفته عن الاعين أو تجاهلت وجوده

(أنا لا أؤمن بترهاتك حول التأثير في الاخريين وتقديم المساعدة لمن اختل عقلهم فيهم)

لا تعرف لماذا كانت على تلك الدرجة من العدائية بينما كان من الممكن ان ترفض عرضه بهدوء ومازعجهااكثرانهلميغضبمماقالتولم يبدوعليهالضيق

فقط تراجع خطوة للخلف وامسك بنسخة من روايته الجديدة من على احدى الارفف وقدمها لها قائلا

(هلا تقبيلن هذا الاهداء كاعتذار عن عرضى السخيف ؟!)

ابتسامة هادئة اخرى على وجهه ألجمت لسانها فلم تجد سوى التحديق في الرواية للحظات ثم مدت يدها سريعا لتأخذها منه وتتجه مندفعة باتجاه الخارج ليشتبك بخيوط قميصها مسمارا حديديا خارجا من احدى الارفف فمزق اساوره واخترق الجلد حتى استقر داخل معصمها فجذبته بحدة دون ان تشعر بألم يذكر وكأن

جسدها انفصل عن هذا العالم واوهب نفسه إلى الطواف حول افكارها ومشاعرها التي فاضت وغمرتها حتى وصلت إلى العنق وكادت تغرقها

لكنها لم تكن تشعر بشيء محدد ولم ينتقى عقلها أمرا واحدا للتركيز عليه

لم تسمع شيئا طوال طريق العودة سوى حفيف الأشجار الذي حركه نسمة صيف باردة

فقط كانت تشعر بقلبها في لهاث حائرا في تحديد مصيره ، ما بين جرعة عالية من الخفقان اقتربت من أن تؤدى به ومابين رغبة في التجمد والانضمام إلى العقل في الطواف حول أفكارها المفترسة دون إفراز اى عاطفة

عندما عادت إلى منزلها كان الجميع منهمكا في أمره ولم يلحظ احد وجودها.. فما بالك بملاحظة تجليات الانهيار المتجسدة على ملامحها !

لا تتذكر سوى أنها نامت قليلا ليس نتيجة لما استنزفه جسدها من طاقة عقلية ونفسية بل لأنها شعرت بالحاجة إلى اللجوء إلى عالم اللاشعور ..وعلى الرغم من هذا فلم يجرؤ عقلها على تذكيرها بما حدث

كانت منهمكة في تتبع واكتشاف المدى الذي وصل إليه الألم عندها .. ولا إشارة واحدة لاسترجاع أسبابه

تنبهت على صوت أذان الفجر يشق كالعادة الخط الفاصل بين نهاية ليل وإشراق يوم جديد

شعرت وكأنه نداء أحياها من وسط ظلام مطبق بدا لها وكأنه قد سيطر على مقادير الكون واحتل أركانه فلم يعد للنهار وجود

بدأت تعود لأعصاب الإحساس قدرتها ولذا شرع الألم في بث طاقته الكريهة بمعصمها ، توجهت إلى الحمام وأطلقت المياه فوق الجرح وانطلق معها العقل في العمل من جديد بعد فترة توقف اجبارى نفذها ليحافظ على بقى لديه من رماد

عادت إلى غرفتها وأغلقت بابها ثم شرعت في الصلاة

ألهبت لسانها بالحديث مع الله ، حديثا تطور إلى دعوات متتابعة متداخلة ليعكس استمرارية معاناة الذهن من أحداث الأمس فخرجت منها الكلمات مهتزة لا تستطيع السيطرة عليها لكنها لم تأبه .. الله خالق القلوب والألسن هو بلا شك عالم بما فيهما .. ما قيل منه وما لم يقل

شعرت أنها هدأت إلى حد كبير وبدا لها ما حدث صفحة سوداء ابتلعتها رياح الطمأنينة التي حملتها برفق بعد زوال أعاصير الفكر

طرقات على باب غرفتها

(ألا زلت مستيقظة يا سارة ؟)

دعم صوت أباها الهادئ المبارك بملائكة الفجر من شعورها بالسلام وحملها بدوره إلى شعور بألفة قتلت بقايا اغتراب الليلة الماضية

(تفضل يا أبى)
انفتح الباب وظهر لها بقامته الطويلة يحمل شيئا بيده
(لقد وجدت هذه الرواية ملقاة بجوار باب المنزل، قلت لا بد أنها لكي.. .. أبخير انتى ؟!)
قطع سؤاله تلك النبرة الهادئة في صوته.. فخرج مشبعة بالقلق عندما رأى ابنته غير قادرة على النهوض
بذلت جهدا كبيرا حتى تقوم من جلستها مجبرة أطرافها على الثبات وطرد هذا الارتعاش الذي وصلت موجاته إلى أباها
(اننى في أحسن حال يا أبى ، نوم قليل ولا طعام .. هذا كل ما في الأمر)
كان قد اعتاد على هذا في ابنته، طالع ملامحها للحظات ليتأكد انه لاشيء قد جد، حاول تغيير مسار الحديث إلى منحى آخر قد يساعده على أن يستشف تفاصيل أكثر بشكل غير مباشر
(يبدو انك قد ابتعتى تلك الرواية دون اقتناع كامل لتتركيها هكذا)
(لم ابتاعها .. لقد اهداها إلى كاتبها نفسه)
حافظت على نبرة صوتها في اطارها الطبيعى رغم ان كيانها باكمله قد اهتز عندما اشارت إليه
(لا بد انه رجلا كريما ليفعل هذا .. ولكنذلك ليس مبررا لتهمليها هكذا ، هدايا الغرباء قد لا تحظى لدينا بنفس وقع هدايا الاقرباء لكنها تحمل في ثناياها تقديرا لشخصك من انسان لا تربطك به

صلة ولذا يجب الحفاظ عليها خاصة ان كانت تنطوى على متعة عقلية مثل تلك الرواية)

(لكنه اعطى كل من حضروا نسخة مماثلة ، هي نوع من الترويج لعمله لا اكثر ولا اقل)

انفرجت شفتاه عن ابتسامة واسعه ومد يده ليربت بها على كتفها بحنو قائلا

(اجعليها انتى هدية مميزة لم تكن لتلائم احد سواك .. استغليها للحد الاقصى واجعليها سببا لاحداث تغييرا ما في حياتك ، وقتها ستتحول إلى جزءا خاصا بك وليس مجرد منحة متاحة للجميع)

ابتسمت واطرقت رأسها لأسفل ، ربما كان والدها بحدسه استطاع ان يتنبىء بما يعتمل في داخلها الآن ، أو لعلها كانت مسحة ربانية غلفت الاجواء وأطلقت بعفوية لجام المجهول ليصل إلى اعتاب الغيب ويتجاوزه بقليل لينال بعضا من ملامح احداثه ويعود بها منتصرا ليسردها على لسان بشرا قد اختاره دون سواه حتى ينير بكلماته الطريق لأحدهم

تركها اباها وترك معها الرواية ثم اغلق الباب ورائه وكأنه يحكم حولها الحصار لتواجه مصيرها وحدها

كان من اكثر الاوقات تميزا على مدار اليوم ، اللون الفضى المخضب بالزرقة يمهد لقدوم تلك الجمرة الذهبية في الصباح الذي كان على بعد خطوات

غرفتها كانت مشحونة بأثير وذبذبات الشفق الساحر ، تركت حواسها تستجيب بلا ادنى مقاومة لموجات الاسترخاء التي ضربتها من كل صوب .. اتخذت من مقعدها الوثير مجلسا لها وبدأت في مطالعة الرواية وبمجرد ان تجاوزت الصفحة الاولى وجدت ورقة صغيرة تسقط على ارضية الغرفة

التقطتها لتجد عليها اسم مؤيد ومقر مكتبه في القاهرة ، لقد وضع بالرواية دون ان تلاحظ بطاقة التعريف الخاصة به

فكرت للحظات انها ربما اسلوبا اتبعته المكتبة ووضعت تلك البطاقات في كل النسخ لكنها سرعان ما اكتشفت عدم منطقية هذا الاحتمال

مازالت اشاراته تصل اليها رغم كل شيء ومازال ذلك يشعرها بنوعا من العجز وانهيار قدرتها على تسيير الامور وفقا لأهوائها فقط وهذا يزيد من احجأمها عن فكرة اللجوء له كمصدر للتوجيه و كوسيلة للانغماس في تجربة جديدة تحررها من تلك القيود الغير مرئية التي طالما منعتها من الظهور على السطح والاكتفاء بالبقاء في قاع الكون حيث لم يبقى فيه احد سواها

لم تكن تعلم الاسلوب الامثل للتعامل معه ، وهو أمرا طبيعيا في ظل عدم قدرتها بالاساس على التعامل مع حياتها بالشكل الامثل .. هل يجب ان تنتهج اسلوب اكثر رصانة واتزانا في تقديم نفسها إليه ام تستمر في التعبير عن شخصيتها بهذا الشكل العنيف الذي كان

له الغلبة في اول حديث بينهما

هذا التشتت في حد ذاته لا يبشر بالخير ، فقط يؤكد بداخلها ذلك المعنى القبيح ... أنها لا تستطيع تحديد كنه شخصيتها ولم تتوصل بعد إلى الصيغة النهائية التي تكسبها ارتياحا نفسيا وانعكاسا لحقيقتها ، لا تمتلك سوى خطوطا متعرجة تعلو حينا وتهبط حينا آخر على غير هدى ، حتى عندما تركت كل تلك الهواجس خلف ظهرها وتركت شخصيتها تتشكل وفقا لمعطيات الأيام لم تنجح في حصاد اى ثمار من وراء ذلك إلا إضافة المزيد من الضبابية حول موقفها من حياتها كاملة

قلبت كارت التعريف بين يداها ثم وضعته بجوارها وشرعت في استكمال الرواية بينما كان الصباح ينضج على مهل بلا توقف

انتهى رنين الهاتف للمرة الثالثة دون رد، أمل زائف اكتنفه كالعادة أنها ستجيب اتصاله لكن ها هي تثبت له مرة أخرى أن توقعاته تخيب مع اقرب الناس إليه.. من يمتهن اى مهنة يكون في أقصى درجات تمكنه منها مع اى شخص شرط ألا تربطه به معرفة سابقة ، لأن تلك المعرفة غالبا ما ستؤثر على رؤيتك للأمر وعلى سلامة حكمك عليه وعدم تحيزه بناء على تراكمات في الذاكرة

كان يتصل بابنته من المكان الذي أبعدت فيه نفسها عنه، بعد غزو العراق للكويت عام ١٩٩١ لم يكن قادرا على البقاء داخل دولة يتحكم في مصيرها جنون مطبق وصم كل من شملته أراضيها بالخيانة

لم يكن فقط عاجزا عن الرد على اتصالات أصدقائه من الكويت العاصمة بل كانت عيناه تهرب من كل من يمر بهم في طريقه لئلا يصيبه رصاص الذل والمهانة في عيونهم فيفقد آخر رمق مازال يتشبث به في حبال العقل

لو كان ما حدث عدوانا خارجيا على أرضه لبقى واستوحى منه إلهاما لآلاف الأعمال الأدبية ولسار في ركاب أهله يؤازر بلده حتى النهاية ، لكن الأمر كان شديد الاختلاف والإجحاف لكرامته وكرامة كل إنسان على التراب العراقي

كيف يخرج منه إبداعا عظيما بينما هو غارق في وحل الخيانة حتى أذنيه ؟!

ولذا قرر انتشال نفسه وأسرته من مقصلة عدوانا أودى بأصحابه قبل أن يودى بالمعتدى عليهم

لكن شريكة حياته وأم ابنته الوحيدة رفضت ..كانت ربما المرة الأولى التي تختلف معه في منطقه وتتخذ موقفا قويا صلدا لم يلمس فيه اى إمكانية للتراجع عنه

رأت انه يجب أن يخضع لقسوة الزمن مثلما يتهافت على التمتع بما يجود به في أوقات السراء

كان مازال يافعا ضيق العقل وسريع التذمر مزهوا بما حصل عليه وقتها من إشادة بأعماله الأدبية المحدودة

تركها وهو يظن أن فراقه عنها سيردعها عن تصلب موقفها ، لكن السنوات مرت ولم يزدهما الفراق سوى استبسالا في الدفاع عن قرار كل منهما مدعمها إياه بما أراد من حجج أو طاقة انفعالية تخرج عندما يتأزم النقاش بينهما ، فأمعن في النهل من شلال الحياة الراقية الخاطفة للأبصار التي تميز فرنسا بكل أرجائها لتنزوى بالتدريج صورة العراق وأسرته الصغيرة من مخيلته

لم يتراجع عن عناده إلا عندما علم بوفاة زوجته، وما جعله يتراجع عن كل ما ظن انه الحق المطلق هو علمه برفض ابنته الحياة معه وانتقالها إلى لندن لتقتنص درجة الماجستير وتحيى حياة مستقلة

لم يكن حريصا طوال فترة تواجده في باريس على معرفة المناخ الذي يحيط بابنته وهى على طريق الطفولة ثم المراهقة فالشباب

، وما هي العقلية التي تترسخ لديها يوما بعد يوم ولذا كانت المفاجأة شديدة عليه عندما أجرى أول حديث معها

وجد أنها ورثت الشيء الذي باعد ما بينه وبين أمها .. العناد

أضف إلى ذلك قسوة بادية على ملامحها قبل أن تتقطر من كلماتها ، لم يعلم أن كانت لا تظهر إلا في وجوده كانتقام منها لانسحابه غير المشرف من حياتها عندما كانت في أمس الحاجة إليه

أم هي طبيعة أصيلة فيها أوجدتها ضعف الروابط بين الأب والأم فلم تجد أثرا بين ذاكرتها الطفولية سوى جمود القلب وإساءة استخدام سلطات العقل فلم تستطع مشاعرها على البزوغ واتخاذ مكانها اللازم المرسوم لها

لم يجد في حديثها سوى إصرارا وجفاء وغياب حس الفتيات المرهف لم يلومها بالطبع وتركها توجه حياتها كما تشاء فلقد فات أوان ممارسة دور الأب في تلك اللحظة

وبعد مرور ٣ سنوات اخبره احد أصدقائه الذين يقومون بالتدريس في إحدى جامعات لندن انه يشرف على رسالة الدكتوراه لابنته وعلم من اسمها أنها ابنة صديقه الكاتب المرموق

حمد الله وقتها انه لم يخبر ابنته بهذا الأمر واكتفى بأن أعطاه رقمها الشخصي وبريدها الالكتروني ناصحا إياه أن يحضر لها مفاجأة أو يقدم لها هدية عندما يلاقيها

سخر في نفسه من حسن نوايا صديقه، كان يعلم أنها ربما ستكون

كلمة النهاية في علاقتهما شبه المنتهية إذا تطفل عليها
أأصبح الاشتياق للابنة بالنسبة لهذا الجيل يمثل نوعا من التطفل ورغبة في اختراق خصوصيتهم الشخصية ؟!!!!
تبا .
انتبه على صوت هاتف مكتبه يرن بإلحاح فتوجه إليه ورفعه ليجدها بعبارات مندفعة قصيرة مهزوزة النبرات تطلب منه تحديد موعد للقائه ، بلغت سعادته السماء وشج قلبه حيزه المعروف ليعزف لحنا من الخفقان المتتابع الشديد الذي هدأ فجأة عندما أدرك أنها ليست تلك التي يظن
(أنا التي أودعتها رقم هاتفك خلسة بين صفحات روايتك.. ألا تتذكرني ؟!)
انكمش القلب وعاد منكسرا إلى تجويفه وزفر في عمق محاولا تدارك الأمر وإصباغ نبرة صوته بترحيب فائق لعلمه بحجم ما جاهدت حتى تتخذ قرار الاتصال به ..
(هل أعجبتك الرواية ؟)
شعر انه ربما السؤال قد فاجأها قليلا .. أو أنها كانت تنتظر منه منحى مختلفا في الحديث
(اشعر انك غير مقتنعا بها، فكيف تنتظر منى أن افعل ؟!)
أصابه جوابها في مقتل وأطلقت براكينه الداخلية حمما ملتهبة أحرقت الكلمات على شفتيه فلم يسود لدقائق سوى الصمت

المطبق

(استطيع أن اعلم من نبرة أصوات الأشخاص إن كان تساؤلهم محفوفا بالثقة أم رغبة في ردم فجوة عميقة من انعدام الثقة)

(يبدو انك ماهرة في عملية تبادل الأدوار تلك)

قالها بنبرة هادئة لمحت فيها إعجابا أنعش وجدانها

(يمكنك ملاقاتي بمكتبي في اى وقت تشائين .. يا موزموزيل سارة)

ابتسمت وقد أعجبها أن تحصل على بعض من مميزات التعامل مع الأدباء وهى ألفاظهم المهذبة التي تشعرك فجأة انك كائن ذو هيبة يتقدم اسمه ألقابا ذات جلالة

(غدا باكر أن كان وقتك يسمح)

(بكل تأكيد ، سأنتظرك .. إلى اللقاء)

وضع سماعة الهاتف وامتد بنظره حيث الواجهة الزجاجية التي تحف مكتبه وتمنى أن يصل إلى الجزء الآخر من العالم حيث توجد من ارتبط اسمها وجيناتها به بينما مشاعرها لم تجد طريقا إليه بعد .

كان جالسا مستغرقا في أحواله عندما قرر نظره الثبوت عليها دون غيرها ممن امتلأ بهم المكان ، ربما لأنها الوحيدة التي خلى عقلها من تعقيدات الادراك الكامل للأمور فلازالت نفسها بلا اثر لخدوش أظافر البشر أو لبصمات تجارب مفجعة

كانت أمها تمسد لها شعرها في حركة منتظمة بينما لاك فمها علكة ضخمة أشربت لها شفتاها الصغيريتين بالحمرة لما امتلأت به العلكة من ألوان صناعية يستخدمونها لجذب عيون الصغار ممن هم في مثل عمرها

كانت الأم منهمكة في حديث عبر هاتفها النقال لكن ذلك لم يمنعها عن الإغداق على ابنتها بالدفء الذي تعلم أنها في حاجة إليه رغم أن الفتاة نفسها ربما لا تعي أهميته.. تتوقع من أمها الإتيان بأفعال مماثلة تلقائيا دون حاجة منها للإعلان عن ذلك ولذا كانت الطفلة غير عابئة بهذا الاهتمام بل بدا في عيناها شيئا من الخواء كان شبيها للخواء الذي كان على مد البصر داخله

كان يسترجع ذلك اللقاء الذي أنهاه منذ قليل وانتهى بإحباط آخر لم يزيله إلا تلك التصرفات العفوية الصادرة من تلك الفتاة الصغيرة التي دخلت في غفوة بعدما اطمأنت نفسها أن لا شيء في الدنيا يستحق الانتباه في هذه اللحظة طالما أن عبير أمها يحرسها دون كلل ويملأ انفها حتى التخامة ...

(لماذا تركت منصبك السابق يا أستاذ طارق ؟)

غلب على صوته فضولا حقيقيا وليس طابعا عمليا عادة ما يميز هذا النوع من المقابلات

(أنا لم اتركه، بل هو الذي يأس من أن يحصل على المزيد مما لم اعد امتلك ..)

نظر له الرجل بتفحص شديد وكأنه طبيبا نفسيا يحاول استنتاج حجم التماسك العقلي لدى مريضه قبل أن يقذفه بحفنة أخرى من الأسئلة

(أعنى هل جاءت الاستقالة بإرادتك الخاصة ؟)

(إذا كان جلوسي أمامك الآن هو أمرا قد فعلته بارادتى الشخصية إذن فاستقالتي جاءت أيضا وفق تلك الارداة)

رأى في عينيه انزعاجا ربما كان نتيجة لان كلماته وشت بدرجة غير مقبولة من الغموض فتابع

(المناصب العليا دائما يتركها أصحابها بإرادتهم .. إما لأسباب شخصية مثل طارئ جديد في حياتهم وإما لأمر مهني نتيجة عن إخفاق في أداء مهام الوظيفة)

(ربما الإدارة قد أزاحتك لكنك لا تريد الاعتراف بهذا للحفاظ على بعضا من الاحترام لذاتك)

تساءل في نفسه بحنق: ألا يمل العاملين في هذا المجال من تلك الطريقة السمجة لاختبار ثبات أعصابك ؟

(إدارة اى مؤسسة لا تزيح احد من مكانه إلا إذا وضعت يدها على

بديل أكثر خبرة وقدرة على مواكبة الأوضاع لكن القناة لازالت تبحث عن شخص يملأ المنصب الشاغر على حد علمي ..أليس كذلك ؟)

لمح في عين الرجل نوعا من التوتر الهي أدنذي احترف في إخفاءه بالتأكيد لكن عيناه هو قادرة على استشعار التوتر من على بعد أميال

(لكن الوظيفة التي تتقدم من أجلها هي أدنى بكثير مما تستحق !)

استراح بشدة للوصول سريعا إلى تلك النقطة في الحديث معه لأنها ستختصر الكثير

(وهل تأتى فرص كهذه كل يوم ؟ .. أنا اعرض عليك خبرة تتجاوز العشرين عاما للقيام بعمل يستطيع الصبي القيام به بعد دوامه الدراسي)

(لكن وجودك سيضر ببيئة العمل داخل الشركة ، الجميع ستتملكهم الشكوك وربما سيظنون اننى ادفع لك أجرا مضاعفا في الخفاء أما زملائك في نفس الدرجة الوظيفية .. فلن يتقبلوا من هم يفوقهم علما وخبرة بهذالقدر، ، ستكون منبوذا من الجميع)

كان يسرد كل النقاط بشكل يائس لعلمه أن من أمامه على دراية كاملة بتلك المعطيات، ورغم دهشته من قيام شخص بترك كل هذا الجاه فجأة دون سبب مقنع إلا انه أراد مساندته عله يعود إلى رشده مما جعله يقول

(هناك وظيفة في الادراة الإلى الرجلا أن تتوافق مع مكانتك)
ابتسم طارق ثم وقف ومد يداه إلى الرجل ليشد عليها قائلا
(اقدر بشدة محاولتك الجادة لمساعدتي، لكن يبدو أن مفهوم المساعدة لديك يعانى من بعض القصور)
(كيف هذا ؟)
(المساعدة ليست قالبا واحدا جامدا يتماشى مع احتياجات الجميع.. المساعدة أن تحقق للشخص ما يحتاج وليس ما تظن أنت انه يحتاجه)
رن هاتفه فجاة فوضعه على أذنه بميكانيكية ليقطع استرجاع الموقف في ذهنه و رغبة في سماع اى صوت آخر بدلا من توحده مع صدى أفكاره فقط
(هل يمكن تأجيل أي أسئلة حتى نلتقي غدا ؟)
صمت ثم
(أنا سارة يا أستاذ طارق)
صمت ثم قال
(أنا لا أريد أن أسأل، أنا أريد أن أتحدث)
(عن ماذا ؟)
(هل انتى مستثناه من قاعدة (لا أسئلة) تلك ؟)
صمت شابه هدير ابتسامة لم تتجاوز شفتاها ثم وجدته يتابع ..
(أنا فقط أحاول وضع محاور مقابلة الغد لئلا تغادري قبل اتمامها

.. كالمعتاد)

(لا تقلق، غدا الأمور ستكون مختلفة)

(الأمور معك دائما مختلفة)

شعر أن هناك صفير إنذار يصدح بقوة داخلها الآن يحذر من الاتجاه الذي تذهب إليه كلماته ولذا تدارك سريعا

(البداية ستكون من غد على اى حال ولذا أتمنى منك غفران اى تجاوز حدث منى حتى تلك اللحظة .. بما فيها هذه المكالمة)

(هل يناسبك التاسعة صباحا)

ألمه أنها تجاهلت ما قال وحزن نوعا أنها مازالت لا تفهمه وتعامله مثل أولئك الغرباء الذين يحتاجون دائما للتنبيه عندما يرسلون إشارات مزدوجة المعنى أثناء الحديث

(يناسبني .. لكن أين ؟)

(سأبعث إليك برسالة بها تفاصيل العنوان في خلال دقائق)

(هل يمكن أن أحظى بثقتك يوما ما يا سارة ؟)

(أنا لم أحظى بكامل الثقة في نفسى بعد ولذا فمن العبث ان اعطيها مكتملة لأحدهم)

صمت طويل

(إلى اللقاء حتى الصباح)

(إلى اللقاء) .

مددت جسدها ببطء وهى مازالت في وضعية الجلوس على المقعد الخشبى المفضل لديها داخل حرم تلك الجامعة العريقة بالعاصمة الانجليزية لندن ، منذ ان وصلت إلى هنا قبل عامين ونصفلم يرغب احد في شغل هذا المكان وكأنه بصورة أو بأخرى ارتبط بها واصبح طاردا وغير مرحب بأى قادم سواها

كانت لديها اطنان من الدراسات والابحاث الواجب منها الاطلاع عليها قبل نهاية هذا اليوم لكنها اكتفت بالقاء نظرة عابرة على صفحاتهم اثناء تواجدها بمكتبة الجامعة العملاقة التي تدفعك ضخامتها إلى الظن بانها جامعة اخرى مستقلة بذاتها وليست مجرد كيان تابع للجامعة الام ، الحقيقة انها لم تعتد ان تهمل في امور العلم وتحصيله .. لاتعلم ان كان ذلك انضباطا ذاتيا ام رغبة في قطع الطريق امام اى افكار اخرى اقل قيمة واشد قدرة على تدمير اى ارض ستحتلها داخل خلاياها العصبية

طالما كان المنزل الذي تربت فيه معبئا بأطياف العلم ، ما بين العلوم المادية البحتة التي لاتعترف سوى بالنتائج الملموسة إلى الاشعار وادب الفكر الذي يسمو فوق تلك الجوامد ويحلق إلى ما لانهاية فيأتى لك بكلمات قليلة سيهتز لها وجدانك لينساب الجمال بين جنباتك فتكتشف ان انسانيتك هي التي تحركك رغم كل شيء تمنت لو ان الصورة ظلت مثالية بتلك الهيئة دون ان يشوبها نضوب منابع الاستقرار النفسى الذي واكب توتر العلاقة بين اباها وأمها

حتى وصلت إلى الانفصال ، اكتشفت وقتها لأول مرة ان الحياة ليست هذا العالم الساحر الملىء بالسعادة الابدية مثلما كانت تترنم به المطربات الفرنسيات التي كان اباها يرقص معها على ايقاع صوتهن الرائق الذي يجعلك تعشق الحياة دون سبب

كل ما شهدته بعد ذلك لم يكن سوى سكون بارد سيطر على ارجاء منزلهم في العاصمة العراقية بغداد ، نجح ذلك في تحويلها إلى فتاة متماسكة لا تهتز لما يتأفف منه مثلها من الفتيات كالجهد الزائد أو الاندماج الكامل في بيئة العلم

أمها كانت تحاول ان تعوض من غياب الاب وردم بركة الجحود الذي تركها ورائه ، لكن الفتاة كانت في غير حاجة لمحاولات الام .. لقد ادركت مبكرا ان الحنو عليها واحتوائها هي اشياء قد ولت عندما اتمت عأمها الخامس عقب توقيع ابويها على وثيقة الطلاق ، هذا كان في بلاد الفرنجة المتحفظة وهذه في بلاد الشرق المشتعلة بداء الكبرياء الكاذب

وبعد رحيل الام الثانى بعد رحيلها المعنوى ، لم يأخذ قرار رحيلها عن الوطن سوى ايام ولم يعكره سوى رغبة هذا الاب البائس في استرجاع بعضا من وجوده بوجدانها ، وها هو ذا يكرر محاولات النيل منها واستعادة مميزات الابوة من خلال استاذها بمادة العلوم السياسة في الجامعة والذى اعتادت ان تكن له محبة خالصة واحتراما شديدا .. ساقه القدر ليكون مرسالا بينهم

اليوم أضيفت عقدة أخرى بعد أن نهرها عندما تجاوزت حدود النقاش معه في محاضرة اليوم ، مزجت بين الطاقة السلبية التي امتلأت بها من تدخله السافر في شئونها الخاصة وبين رأيه المتحيز من وجهة نظرها بشأن الاجتياح العراقي لأرض دولة الكويت

حاولت الهاء نفسها بالذهاب إلى المكتبة وقراءة تلك الدراسات لكن ذهنها كان أثقل من أن يمتلئ بالمزيد فاتخذت مجلسها المعتاد على المقعد بين أفدنة من المساحات الخضراء النضرة التي أحاطت بمباني الجامعة لعلها تجد بينها السكينة

كانت مغمضة العينين عندما استشعرت وجوده

صديقها المهذب الذي أغدق عليها الاهتمام انطلاقا من طبيعته التي دائما ما تعتني بمن حوله دون انتظار لمقابل، بحديثه المليء باستشهاد من كتاب الله والسنة النبوية استطاع أن يفسح داخلها مكانا لعلاقة أكثر رسوخا مع الله

وأعادها إلى دائرة السكينة التي ابتعدت عنها لسنوات

كان راضيا تخصصيهما إلا أنهما تلاقيا في إحدى الندوات التي تجريها الجامعة وكانت تتناول الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط مؤخرا ، آرائه نمت عن اطلاع واسع وعقل متزن رغم صغر سنه ثم علمت انه مصريا ويدعى (حسام)

كان راضيا قانعا رغم نبرة الغضب والضيق التي تستطيع تتبع مساراتها في صوته دائما

ربما كان نقائه سببا في عدم قدرته على تجميل ما كان يزعجه ولذا كان يبوح بكل ما يشعر بعفوية وصدق
الحقيقة أن كثيرا من الأمور كانت تزعجه لكنها كانت تستشف من ذلك أن روحه الطيبة لا تطيق رؤية ما يتنافى معها
ورغم تدينه وسمو أخلاقه إلا أن ذلك لم يحوله إلى إنسان محافظ متجمد في علاقاته مع الأخريين داخل الجامعة وخاصة من الفتيات بل على العكس كان منفتحا ولديه صداقات مع كثير منهن لم يكن يضايقه فقط سوى علمه أنها لم تؤدى إحدى فروض الصلاة أو عندما يتبين أنها فعلت ضد ما تؤمن به
صداقتهما كانت كالجوهرة الثمينة التي تزداد قيمتها يوما بعد آخر بشكل تلقائي وبسلاسة شديدة...
باختصار كان يمثل لها سندا أمينا في بلاد الغربة
كان شاهدا على الاشتباك الذي وقع بينها وبين أستاذها اليوم وكانت تتوقع انه سيطالبها بتفسير هذا السخط المفاجئ ولذلك تجنبت لقائه
عندالذي لاغاضبا وان كنت على حق لا يسعفك اللسان بسرد قناعاتك المنمقة بل عبارات متناثرة هنا وهناك لا يخرج بها من أمامك سوى بمزيد من الحيرة أو ينتقل إليه بعضا من غضبك
فما الحال معه هو ؟.. هو الذي لا يتعامل سوى بالمنطق في حديثه لكن بعض الأمور تكمن منطقيتها في عدم منطقيتها خاصة إذا

ارتبطت بما يموج به صدرك ولا علاقة له بتلك الماكينة التي تعلو هامتك

كيف ستخبره عن قرارها بقطع علاقتها مع والدها .. سيكون هذا كفيلا بإنهاء صداقتهما أو على الأقل سينالها شيئا وسيخفت وهجها، مهما قدمت له من مبررات

فتحت عيناها بهدوء ولم تتبادل معه التحية أو تلقى سلاما فلم تكن ترغب أن تشعل فتيل مشادة أخرى لن تؤدى سوى لتعقيد الأمور

(لقد وجدت لكي كتابا سيفيدك كثيرا في بحثك الحالي عن الصراع في الشرق الأوسط)

قالها بنبرة شديدة الهدوء، كانت إشارة على عدم رغبته في الحصول منها على تبريرات لما حدث منذ ساعات وهذا كفيلا بزيادة توترها لأنه ينطوي ضمنيا على محاولة لتأجيل المواجهة.. وجدت نفسها تندفع قائلة

(لن أكمل بحثي في هذا الموضوع، سأغيره وسأتواصل مع أستاذ آخر يدرس نفس المادة لكن لطلاب السنة النهائية)

(الاختلاف أثناء النقاش لا يستدعى كل هذا يا رقية !)

(الأمر أكثر من مجرد اختلاف في الرؤى) ثم نظرت تجاهه وعيناها ممتلئة عن أخرها بالكثير مما لا يعلمه وهى تردف ضاغطة على حروف كلماتها .. (بعض الأشخاص يمنحون لأنفسهم حق الوصاية

على أنفسنا وعقولنا لمجرد أننا نتلقى منهم العلم في قاعات الدرس)
نظر لها في صمت وامتلأت عيناه بغيوم التساؤل لكنه لم يطيعهما واكتفى بنقل بصره يمنة ويسره في صمت للحظات ثم قال (أنا أعلم أن هناك شيئا تخفيه عنى واستنتج من ذلك انه أمرا شخصيا ، كل ما أتمناه ألا يؤثر على مسارك الدراسي حتى لا تخسري كليهما)
صمتت لثوان ثم أومأت برأسها وتركته جالسا تتزاحم الأسئلة في رأسه وعلى يقين أن كل الإجابات لديها ، لم يكن يعلم أنها في تلك اللحظة كانت تعانى مثله تماما لكنها لم تعلم ..من يمتلك إجابات أسئلتها هي ؟

توتر خفيف أحدثه تزايد فترة الصمت بين الثلاث الذين جمعتهم الغرفة المطلة على نيل القاهرة في هذا الصباح.. الكل لا يعلم سبب وجوده في هذا المكان لكنهم ولسبب مجهول يؤمنون أنه المكان الصحيح
مؤيد كان في أبهى حلة لكن جفنيه كانا ثفي ذيلبياض العينان تداخل فيهما الشرايين الحمراء
طارق كان صامتا مستكينا وكأنه يعلن انه في ذيل قائمة من يتوجب عليه التحدث أو تفسير هذا الصمت
أما سارة فتجلى النشاط بملامحها وان كان مكبوحا برواسب التحفظ داخلها كالمعتاد

(أتختلف القاهرة عن بغداد ؟)

السؤال لم يكن موجها إلى مؤيد كما يفترض المنطق وانما كان موجها منه إلى سارة وطارق .. تبادلا النظرات وابتسامة دهشة ثم اجاب طارق (اعتقد أن الاثنان ودمشق يجمعهم روحا واحدة مع الأخذ في الاعتبار تباين الظروف التي أحاطت بكل عاصمة منذ الأبد وحتى الآن)

(اى روح ؟) .. لفظت سارة بالسؤ).وهى تمد يدها لترتشف بعض قطرات الماء من الكأس المستقر أمامها

(المجد الزائل) .. قالها مؤيد في هدوء لكن موجات الحزن والسخرية بطنت عبارته فزال وقع الكلمات وتسرب إليهما بعض الإحباط حتى أن كليهما زفرا في نفس اللحظة فشعر مؤيد أن البداية لم تكن موفقة فأدرا سريعا دفة الحديث لتصحيح مساره

(اننى اعمل على روايتي الجديدة .. وستكون الأخإليه فير كليهما إليه في تساؤل وازداد عند سارة ببعض من التأمل في قسمات وجهه دون تعليق

(هل لي ان أسئل عن سبب ذلك ؟) قالها طارق بنبرة ثابتة خالية من الانفعالات التي كانت تموج داخل كل من مؤيد وسارة .. الأول لأنه قرارا صعب عليه نطقه فماذا عن تنفيذه ؟

أما الثانية فلأنها تغضب أن يضاف لغموض الرجل قرارا فجائيا سيشكل عائقا أمامها وربما يعيدها إلى المربع واحد في رحلة

اكتشاف خبايا شخصيته

(بالطبع يمكنك يا أستاذ طارق .. ببساطة لشعوري اننى أصبحت كتلك العواصم التي لا يكف أهلها عن التحدث بشأن مجدها الزائل لكن على الأرض .. لن تجد سوى السراب)

تبادل الثلاث النظرات للحظات ثم أضاف مؤيدا

(لقد أشار على صديقا أن ازور الثلاث عواصم لأستلهم منهم أحداث الرواية الجديدة.. الأمر فيه مشقة لاشك لكنه يستحق المخاطرة .. أليس كذلك ؟)

(ربما يتاح لك ذلك في العراق ومصر .. لكن دمشق أصبحت غير آمنة وليست مجالا مناسبا لاختبار تجربة فكرية بكامل مراحلها) قالها طارق متوقعا دفاعا من مؤيد عن خطته لكنه فوجئ بصمته الذي استمر لدقيقة كاملة ثم وجده يقول (أنا لا اطمح إلى تجربة فكرية يا سيدي .. بل إلى تجربة إنسانية أزيل بها ما تراكم على عقلي من غبار الزمن لاختتم مشواري بعمل لائق وليس بوصمة الانسحاب المتخاذل المخزي)

بثت عباراته فيهم فجأة براكين الحياة واعتدل كل منهم في مجلسه وكأن ذهنيهما أرسلا إشارات تنبيه لكل الأطراف تبجيلا واحتراما لما وصل عبر الأعصاب السمعية

كانت سارة أول من توجه بالسؤال لمؤيد ...(أتقصد أن المغامرة هي هدفك الاسمي وستكون الرواية فقط تسجيلا لما ستمر به ؟)

نقل مؤيد نظره بينهما وسرعان ما وثبت ابتسامة هادئة على فمه وهو يجيب (إلى حد ما، لكنني أرى أن عملي هو انعكاسا لشخصي وإذا أردت المغامرة كانسان فان الكاتب بداخلي يريد المثل.. أنا لا أرى الأمر منقسما بل هو في مجمله طريقا للوصول إلى غاية ... ونجاحي في ذلك سيضمن تحقيق إشباعا لهوى النفس إلى التغيير و تجديد ما اهترىء من الخلايا المضطلعة بمهمة تنشيط الخيال ونسج الأفكار ،إضافة إلى مكتسبات أخرى لا نهائية ستتحقق تباعا)

(وإذا فشلت ؟) وجه طارق إليه السؤال واستشعر مؤيد أن طارق فقط يردد مخاوف تدور في ذهنه عن حياته هو ووجد فيه وسيلة للتحقق من تلك المخاوف ولذا أراد المراوغة قليلا..

(ما رأيك أنت يا أستاذ طارق.. بماذا تنصحنى إذا فشلت ؟)

تركزت العيون كلها على طارق الذي بدا أن السؤال صدمه إلى حد بعيد ..

(اعتقد أن عدم الإقدام على المحاولة خوفا من الإخفاق هو إقرار بالفشل في حد ذاته) أنقذت سارة بتلك العبارة طارق الذي حرك جفناه ببطء وهو يطالعها .. حزنا قابعا تجسد في ملامحه بتلك اللحظة

(اتفق معكى للغاية ، لكن إذا وضعنا سؤال الأستاذ طارق في الاعتبار فأعتقد أن اى ما سأحصل عليه من تلك الرحلة سيكون مغنما ..

حتى وان فشلت وتوقفت بعد خطوات معدودة على الدرب)
(لماذا يكتشف الإنسان انه على الدرب الخاطئ متأخرا بينما يكون قراره سريعا و أكثر حسما عند مغادرة الدرب الصحيح ؟) تفوه طارق بالسؤال وهو ينظر إلى اللاشيء وكأنما يحدث نفسه بينما يجلس وحيدا في غرفته
نظر مؤيد له وبدت على ملامحه علامات التعاطف ولم تستطع سارة منع نفسها من الشعور بالتوتر، لأنها شعرت إن طارق سيكون أول من يكشف عن أوراقه الليلة رغم انه كان اقل المرشحين حظا في توقعاتها للقاء اليوم
(كلما أردت لحياتك معنى كلما تعددت الدروب التي تطرقها) قالها مؤيد بصوته الفخيم الذي تلاشت منه اللكنة الفرنسية بدرجة كبيرة وهو الأمر الذي اسعد سارة وجعلها تستفسر ..(بمعنى؟)
(الحياة متقلبة بطبيعتها ، إذا سيرت أمورك لتتحرك وقتما تأذن هي لك فأنت لا تأبه سوى بمصالحك الضيقة ومنها حماية وضعك المادي ومركزك والاعتبارات الاجتماعية كالمنافسة و تحقيق الأهداف التقليدية كالزواج والإنجاب وغيرها .. لكن إذا قررت أنت الخروج من مسار إلى آخر على الرغم من أن الحياة ساكنة هادئة ولم تجبرك على الانتقال إذن فأنت تبحث عن قيمة أخرى .. هذا هو المعيار، أتبحث عن مصلحة أم قيمة؟)
(هل تؤمن بالفعل أن البشر يجب أن يكونوا بهذا القدر من المثالية

والتجرد من رغبة امتلاك المادة بل والإفراط أحيانا في تلك الرغبة لتصل إلى مرتبة الطمع ؟!)

كان السؤال موجها من طارق وهو في نفس الوضع لا تتفاعل ملامح وجهه مع ما يقول .. مجرد شرود بينما يتفوه بالأسئلة الواحدة تلو الأخرى وهو ما لاحظه مؤيد وسارة بالطبع ، فأثروا الصمت لاعتقادهم انه فقط يفرغ ما وجم على النفس وكان حكمهم صحيحا إلى حد كبير حيث ظل طارق يستطرد في الحديث دون انتظار إجابة أو تعليق من احد

(كيف يمكنني مقاومة ما تفرضه قواعد الحياة في هذا الزمن وانزوى كالأبله في ركن من البسيطة لأقنع بالفتات مبررا ذلك بالرغبة في الوصول إلى قيمة ما .. أي قيمة تلك التي قد أجدها في عمر ال ٤٦ وأنا امتلك من الجاه والمال ما يكفيني ، لماذا هذا التفلسف الذي يتبارى فيه الجميع حتى نلفظ الاستقرار الذي ننعم به لنهيم على وجوهنا كالوحوش الجائعة في كل الطرقات من اجل البحث عن شيء مجهول دفعنا بعض المكابرين دفعا إلى الظن بأن شقائنا سينتهي بإيجاده؟!!!)

بلغ طارق في انفعالات وجهه مستوى غير مسبوق حتى أن عيناه جحظتا ونفرت عروق رأسه وبدأت أنامله في الارتعاش ثم وقف فجاة قاصدا التوجه إلى الباب للمغادرة لكنه توقف في منتصف الطريق والتفت إلى سارة بعينين محمرتين قائلا في صوت خفيض

نوعا (... حظ سعيد في مهمتك الجديدة يا أستاذة سارة)
عاد التوتر يملأ الأجواء بعدما صفع طارق الباب في قسوة وتبادل مؤيد وسارة النظرات في صمت ، كان هذا كافيا بإعلان تعثر المهمة قبل أن تبدأ وبدأت الشكوك تدور حول قدرتهم على الصمود لكن الاثنين لم يفصحا عن شكوكهما المزعجة تلك لئلا تتحول إلى أمرا واقعا بعد أن كان مجرد هاجسا يخفيه كل منهما داخله ظنا أن الآخر لا يدرى عنه شيئا ..
لماذا تتشابه الأمور وتتشابك هنا وهناك ؟!

لمح من نافذة غرفته المطلة على هذا الحي العريق في الشقة التي استأجرها ليقضى به فترة إقامته هنا ، سيارات بيضاء ضخمة من هذا النوع المناسب لاجتياز الطرق الوعرة على الرغم أن الطريق كان ممهدا إلى حد بعيد بينما امتلأت خلفية السيارات بمنقولات مختلفة الاحجام

لكن من قال أن الوعورة هي الصخر المدبب والأرض القاسية فقط؟ الهدف من استخدام تلك السيارات كان تجاوز وعورة البشر وليس الأرض التي تئن من حملهم

يمكننا أن نرى أنها عربات إغاثة من الحروف الانجليزية المستقرة على أبواب السيارات من الجهتين لتعلن أنها تنتمي لإحدى منظمات الغوث الدولية لعل هذا يردع أحدهم عن استهدافها .. محاولة يائسة لإيهام النفس أنهم بمأمن

منذ أن حط بقدميه هنا ، لم يكن يعلم متى ستنتهي رحلته ولذا كان خيار المكوث في احد الفنادق غير اقتصادي من كل النواحي ، إضافة إلى أنه كان يريد أن يعسكر داخل جسد تلك المدينة التي تقطعت أواصر ثقافتها وحضارتها نتيجة لشطط سياسي لم تخرج منه إلا نصف محتلة وكاملة التشرذم

كانت السيارات تسير بسرعة عالية مما خلق عاصفة من الغبار غطت على رغبة الفضوليين في تكشف الأمر وعندما هدأت العاصفة لم يبقى سوى أطفالا يحملون أكياسا ملونة وأمها ت تزغرد

حاملين أجولة ممتلئة بينما لم يكن للسيارات وجود إلا في الأفق البعيد التي انتهت عنده أفكار صديقنا هذا

جلس على ذلك المقعد الجلدي بعد أن أسدل الستار عقب انتهاء المشهد ليحميه من حرارة الأجواء ويعزله عن الواقع الذي صدمه منذ وصوله لهذا المكان.. هذا هو اليوم العاشر له ولم يخطر بباله اى فكرة طوال تلك الفترة سوى الرغبة في الرحيل وهذا يتعارض تماما مع خططه التي جاء يحملها

أكانت هناك خططا بالفعل ؟!... إذا أردنا الدقة فالإجابة ستكون لا ، هو فقط أراد أن يكون الوطن آخر محطاته قبل أن يعود ويستقر في القاهرة ليلملم شتات نفسه بعد تنقل كان مجبرا عليه بعدما رفضته جميع الأماكن و أغلب البشر ،حتى الفتاة التي توسم فيها سبيلا للخروج من شرنقته .. رحلت

يعيش الإنسان حياته معتقدا أن هناك الآلاف ممن يهيمون به عشقا ولن يتوانون عن مد يد العون له إذا احتاج

لكن لحظة كهذه أكدت أن ما كان يظنه هو خيالا أو هلاوس لا تتجاوز حدود الأمنيات..

ماذا لو يأخذ هو الخطوة ويراسلهم؟

سيخبرهم عما رآه هنا وهناك وفى كل مكان ارتحل إليه منذ أن تركهما.. أو منذ أن تركوه..

لماذا هذان الصديقان القابعان في تلك البلد الملقبة بالأرض السمراء

وحدهما هم من يهتم بهم رغم كثرة أصدقائه الذين توزعوا على القارات الست ؟!

ربما لأنه شعر أنهم يشبهونه في هذه المرحلة من حياته .. مرحلة اكتشاف حقيقة الخديعة التي انساقوا ورائها

فهرولوا لكل الأنحاء رغبة في إيجاد مرشد أو لافتة تعينهم على تصحيح المسار ..

هل يهمهم أن يعلموا ماذا حدث له وكيف كانت تجربته ؟

ربما من الأفضل أن يسرد ما مر به في عمل روائي مثلما أراد ، لكنه لا يريد أن يكتب للجميع

لأول مرة يشعر أن هذا (الجميع) لم يعد يحفل به على الإطلاق، لماذا يوهم نفسه أن لديه (جميع) من الأساس ممن يتشوقون لقراءة ما سيكتب ..

صدمته هذه الرغبة الحادة في الأفول وترك الساحة الأدبية دون عودة أو حتى شعور بالندم

منذ متى وهو يفكر بتلك الطريقة؟!

أين روح الكاتب الصلدة الغنية التي تحفر النفس البشرية دون كلل في كل رواية لتأتي للقارئ بما غفل عنه في نفسه أو ربما لم يجرأ في البوح به لأحدهم ؟...يبدو أنها رحلت وأقسمت على عدم العودة

يشعر بالظلام يسيطر على ما حوله ويدفعه إلى هوة سحيقة لا قرار

لها ولا مغيث له إلا إيمان ،الشيء الوحيد الذي يتذكره ويربطه بهذا المكان .. صوت أبيه وهو يتلو آيات كتاب الله قبل صلاة الجمعة من كل أسبوع

منذ ذلك الحين وبدأ عقله يشب على ألفاظا لم يكن عقله يدرك معناها لكن روحه كان تتفتح على وقعها في أذنه، لماذا لم يغرف من هذا الزاد أكثر وأكثر ورحل إلى عالم لا ينتمي له ولم يأنس به يوما ؟

ألهذا يجلس الآن وحيدا بلا جليس ؟

لأنه لم يهتم بوضع جذورا في وطنه وتوهم أن روح الكاتب هي بلا وطن وكل الكون هو مأوى لها ؟

إذن فلماذا يشعر أن الدنيا ضاقت به وعليه.. أين يوجد هذا المأوى يا الله؟!

تحرر دمعا رقراقا من عينيه المغمضة ومدد عنقه لأعلى وأرخى رأسه على مسند المقعد ببطء

"عندما لا يبقى لك مأوى على هذه الأرض ، فربما جاء وقت رحيلك عنها"

ثم حدث ما حدث.

كانت منهمكة في عملها عندما قاربت نشرة الأخبار على الانتهاء بعرض آخر خبر، لم تكن منتبهة لما يعرض كعادتها لكن صورته جعلتها تقفز من مقعدها لترفع من مستوى الصوت....

" وقع اليوم انفجارا في إحدى ضواحي العاصمة العراقية بغداد وأسفر عنه مقتل شخصين احدهما هو الكاتب العراقي الكبير مؤيد المنهالى بينما وصل عدد المصابين حتى الآن وفقا لبيان الحكومة العراقية إلى ١٣ شخصا"

وصلت بها هول الصدمة إلى الانفصال التام عن ما حولها لدرجة أن عقلها أطلق إشارات وإيحاءات جعلها تشعر أنها داخل حلم وليست هنا على ارض الواقع ، تركت كل شيء وخرجت مندفعة إلى الخارج والذهول مرتسم على خلجاتها بينما تابعت مذيعة النشرة

" ولقد ذكر مراسلنا في موقع التفجير أن أجهزة الشرطة قد وجدت في منزل الكاتب حزمة من الأوراق يبدو أنها كانت لرواية جديدة يعمل عليها وحملت عنوان (شيئا لازال مفقودا) وعلقت ابنته رقية المنهالى المقيمة حاليا في لندن أنها تنوى إصدار الرواية لتكون ختاما وتكريما لمشوار أباها الأدبي الحافل ، في نهاية النشرة نشركم على المتابعة.. دمتم في رعاية الله).

تمت